فريد الأطرش

بين الفن والحياة

بأقلام:

محمد عبد الوهاب
محمود الشريف
جورج إبراهيم الخوري
بليغ حمدي
محمد بديع سربيّة
محمد الموجي
أحمد فؤاد حسن
محمود لطفي



دار المعارف بمصر

فريد الأطرش ..
بين الفن والحياة

فريد الأطرش بين الفن والحياة

بأقلام :
محمد عبد الوهاب
محمود الشريف
جورج إبراهيم الخوري
بليغ حمدي
محمد بديع سربية
محمد الموجي
أحمد فؤاد حسن
محمود لطفي

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

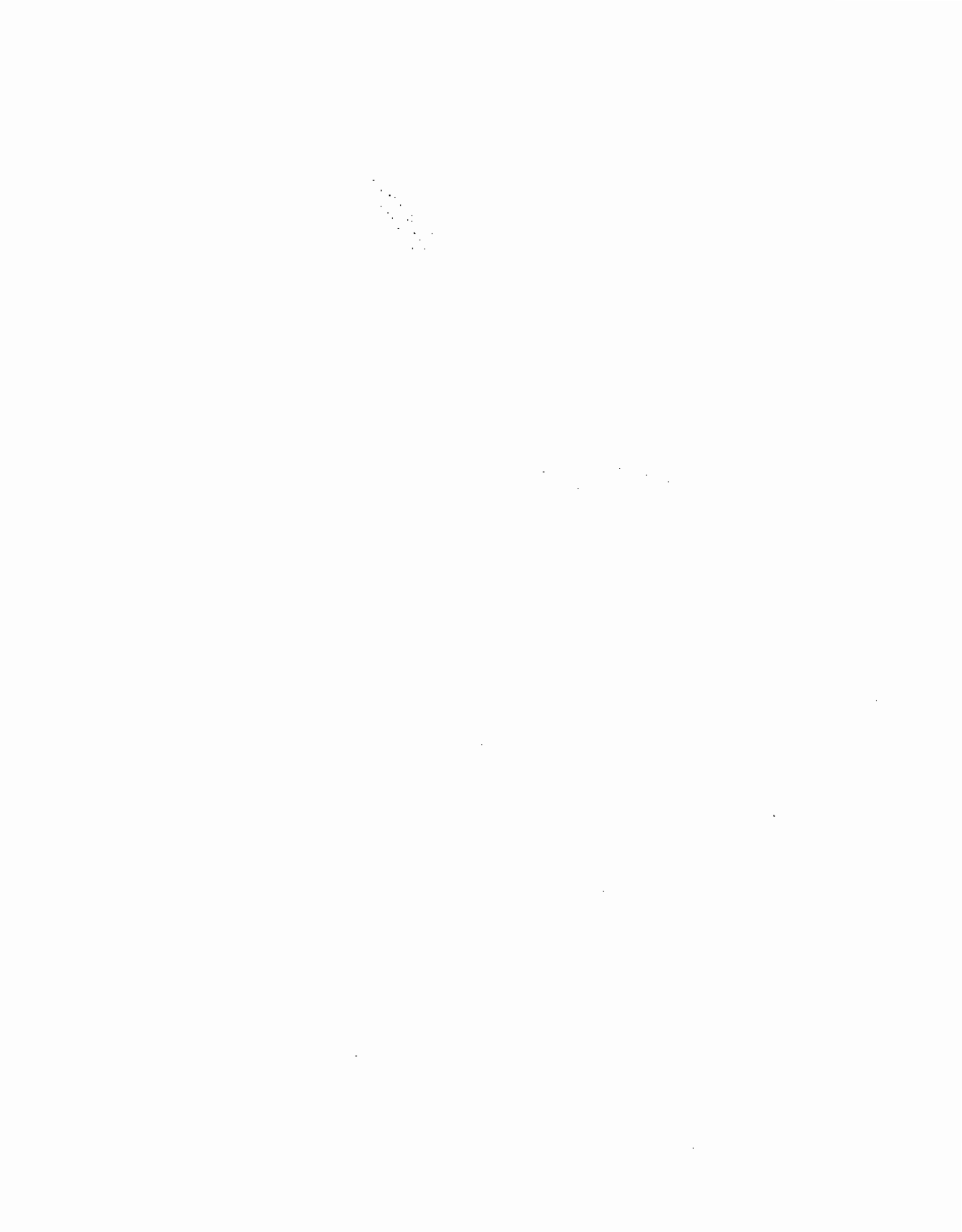
إهـــداء

إلى روح الفنان فريد الأطرش . .

رمزاً للإعجاب والحب والتقدير . .

وتكريماً للغناء والموسيقى والفن فى شخصه.





مقدمة

كان فريد الأطرش ملكاً لجمهوره ومحبيه .. قبل أن يكون ملكاً لنفسه أو لأقربائه .

وبهذا المعنى بادر محبي فريد الأطرش .. عقب وفاته .. بتشكيل لجنة من أصدقائه ومحبيه وأقرب الناس إليه ..

وفي أول اجتماع للجنة .. اختار الأعضاء ، الذين هم أولاً فنانون وأصدقاء فوق كونهم زملاء .. إلى اختيار الأستاذ الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب رئيساً للجنة .

إن الأستاذ محمد عبد الوهاب .. ليس مجرد رائد لهذا الجيل من الفنانين .. ولا مجرد رمز يتفق عليه لجميع من هذا الجيل .. ولكنه أيضاً راع للجميع .. أب للجميع .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان واحداً من القليلين جداً الذين يعطيهم المرحوم فريد الأطرش ثقته الكاملة .. صديقاً وأخاً وفناناً كبيراً ..

وبقدر ما سعت اللجنة إلى اختيار الأستاذ

عبد الوهاب ، بقدر ما سعى هو أيضاً ، بل وبادر كثيراً ، إلى تحويل العواطف الضخمة نحو الأستاذ فريد الأطرش .. إلى أعمال ملموسة تؤكد مساهمته الغنائية .. ودوره الموسيقى .. ومكانته الفنية .

من هنا . . ولأسباب إضافية كثيرة . . بدأ التفكير فى إصدار هذا الكتاب .

فمن الأسباب الاضافية . . ولكن الهامة أيضاً ، أن مستوى وإهتمامات كتابات كثيرة عن فريد الأطرش كان أقل من فنه .

ومثلما حدث للمرحوم فريد الأطرش فى حياته . . فأن كثيرين من الذين حسبوا عليه . . بدأوا فى مماته يقدمونه للقارئ كمجرد مادة مثيرة . . !

ولهذا بدأت اللجنة تفكر فى هذا الكتاب ، وكتاب آخر أكثر تخصصاً ، لكى تضع أمام القارئ صورة متعددة الجوانب ورفيعة المستوى . . للشخصية التى كان عليها فريد الأطرش : إنساناً . . وموهوباً . . وفناناً كبيراً .

ولم يكن هذا هو إحساس اللجنة فقط . . فبمجرد أن شاعت الفكرة . . . سارع كثيرون من المخلصين فى التعبير عن حماسهم لها . . ورغبتهم الأكيدة فى أن يكونوا جزءاً من نجاحها . .

وعندما بدأ تنفيذ الفكرة فعلاً . . كانت المشكلة هى ماذا يتم نشره ، وماذا لا يتم . لقد كانت عواطف

أصدقاء ومحبى فريد الأطرش أكثر تدفقاً ورقةوحماساً من كل التدفقات . . بحيث أن اللجنة تود أن تعبر هنا عن شكرها للذين ساهموا فى هذا الكتاب ، وأسفها الشديد للذين حالت ظروفهم ، أو ظروف الكتاب من مساهمتهم .



الفنّ .. والحيّاة ..
وفريد الأطرش

بقلم : محمد عبد الوهاب





عندما جاء الأستاذ فريد الأطرش إلى مصر لأول مرة . . لم يكن المناخ الفنى مهيأ لاستقباله هو . . بقدر ما كان مهيأ لاستقبال أخته . . المرحومة أسمهان .

كانت الأصوات السائدة والمتنافسة فنياً تتراوح بين منيرة المهدية وفتحية أحمد وأم كلثوم . وفى وسط تلك المنافسة ، جاءت أسمهان متميزة بصوت حلو النغمات حديث الأسلوب مختلف النبرة . . بالإضافة إلى الصفات الأخرى التى لا بد أن تتوافر فى صوت المطربة التى تريد أن يكون تعبيرها سليماً وممتازاً فى الغناء الشرقى .

وأمام العقبات الكثيرة التى وجد فريد الأطرش نفسه يواجهها . . وأهمها كما ذكرت أن المناخ الفنى لم يكن مهيأ أساساً لاستقباله . . فإن فريد الأطرش لم يجد بداً من أن يبدأ حياته الفنية عازفاً على العود مع الفرقة الموسيقية التى تصاحب أسمهان فى الغناء .

فى تلك الفترة حاول فريد الأطرش أيضاً أن يعمل بمفرده . . عازفاً ومطرباً عند المرحومة بديعة مصابنى . . ولكنه لم يحقق لنفسه النجاح المطلوب .

بل إن فريد واجه فى الحقيقة ما هو أكثر من ذلك . . خلال تلك السنوات المبكرة من حياته . إن الذين عاصروا الحياة الفنية فى ذلك الوقت يتذكرون مثلا النكتة الشهيرة التى أطلقها عليه بعض الساخرين وقتها ، وعلى رأسهم رجل محب للغناء والمغنين اسمه محمد دبشة .

تقول النكتة إن أحد المستمعين سأل زميله : من هذا العازف على العود الـــذى

يصاحب أسمهان فى غنائها ؟

قال له الآخر : إن اسمه هو فريد . . الأطرش .

رد الأول : يابخته !

ربما من أجل هذه العقبات كانت المرحومة أسمهان تحس أنها فى حاجة إلى بذل مجهود إضافى للمساهمة فى تذليل هذه العقبات التى تعترض بروز موهبة أخيها . ومن أجل هذا أيضاً كانت أسمهان تشترط عليهم الاستعانة بفريد . عازفاً أو مطرباً .

وبالإضافة إلى ذلك . فإن أسمهان حاولت فى البداية أن يكون صعودها الفنى مقترناً بأخيها . . وألا يتأخر بروز واحد منهما عن الآخر . . لأن أسمهان كانت مؤمنة إيماناً تاماً ومطلقاً بموهبة فريد . . فى الوقت الذى كان فريد يواجه فيه عقبة بعد الأخرى .

ولم تكن العقبات التى تواجه فريد تتعلق فقط بالمناخ الفنى السائد . . والمسيطر وقتها . . وإنما كانت تتعلق أيضاً بالطريقة التى بدأ بها حياته الفنية . إن أبرز مساوئ تلك الطريقــة كانت الأسلوب الذى ينطق به فريد بعض الألفاظ – كالراء والحاء مثلا – مما يجعلها فى النهاية تخرج فى حالة قلقلة لم يكن يألفها الذوق المصرى فى الغناء وقتها . . وهو الأمر الذى يضع من البداية حاجزاً من الغربة بين المطرب ومستمعيه .

ولكن . . إذا كان فريد قد عانى من تلك العقبات فى البداية . . فإنه كان يتمتع أيضاً بموهبة أخرى غير موهبته الصوتية : إنه كان قوى الإرادة ومشحوناً بالإصرار وعنيداً إلى أقصى درجات العناد . إنه لم ييأس ولم يستسلم ولم يتراجع أو ينسحب . . وإنما اعتبر تلك العقبات تحدياً إضافياً لا بد له من أن ينجح فى مواجهته من البداية .

ومن البداية حتى النهاية نجح فريد فعلا إلى أقصى مدى فى أن يكسب معركته ويحقق شعبيته ويفرض موهبته التى حاول البعض أن يرفضها فى البداية . . إن الذين رفضوه . . كانوا فيما بعد هم الذين استمعوا له وأعجبوا به وصفقوا له وانفعلوا به وتحمسوا لموهبته .

ولأن لكل معركة دروسها ، فإن الدرس الذى خرج به فريد الأطرش من معركته لإثبات نفسه فى تلك الفترة . . كان هو الإحساس المطلق بسطوة الجمهور . . والولاء المطلق لرغبات الجمهور . . والتركيز المطلق على تحسس رغبات الجمهور .

لقد كان فريد الأطرش فى بدايته مبشراً بتطور كبير . . ولكن تلك المعركة المبكرة خلقت فى داخله الإحساس بأن يكون محافظا كبيرا . إننى ربما اختلفت فنياً مع فريد فى هذه النقطة . . فإننى شخصياً اخترت لنفسى من البداية طريقاً عكسياً . . وفضلت أن أبدأ فنياً من الموجود فعلا . . لكى أحاول بعد ذلك السعى إلى تطويره .

ولكن فريد كانت له ظروف أخرى ألزمته من البداية بأن يكون محافظاً فى تطوره . . بحيث إنه بدأ فنياً بمحاولة تطوير الأساليب السائدة فى الموسيقى والغناء . . لكى يضطر بعدها إلى توقيع هدنة . . أو التوصل إلى حل وسط . . يجعله يمارس محاولته للتطوير فى حدود الموجود فعلا .

وكان صوت فريد الأطرش هو سلاحه الأول فى كل معاركه الفنية . . لأن صوته كان موهبة فى حد ذاتها تضيف الكثير إلى الأصوات الموجودة والمنتشرة .

كان صوت فريد الأطرش يحمل من البداية كل بصمات الموهبة والاختلاف والتميز .

فمن الناحية المبدئية كان صوته سليماً . . نقياً . . يتمتع بكل الصفات الفنية اللازمة للنجاح كمطرب .

ومن ناحية أخرى كان صوته واسع المسافات جداً ومتعدد النغمات . . بحيث إن القرار والجواب فيه ممتازان للغاية . . وبحيث إنه يستطيع فى النهاية أن يحرك مشاعر الناس بغير حدود . . فينفعلون معه ويصفقون له صائحين : الله . . .

لم يكن صوت فريد الأطرش هو صوت إنسان يغنى . . ولكن كان صوت إنسان يطرب . . والفرق كبير بين النوعين ، فالأول ممتاز . . ولكن الثانى هو الموهوب . . والمغنى

ربما يثير حماس المستمع . . ولكن المطرب يلهب أكف المستمع بالتصفيق .

ولأن فريد واجه من البداية محاولات لرفضه . . فإن ولاءه للتصفيق كان حتى النهاية تأكيدا يراه هو ويسمعه بأذنيه لسوء تقدير الذين رفضوه فى البداية . . وتأكيداً لحسن تقديره هو لإحساس الجمهور وانفعالاته .

إن الجمهور كان موجوداً دائماً فى تفكير فريد الأطرش وغنائه وألحانه . . من البداية حتى النهاية . وحينما أعطى فريد مرة إضافة صوتية جديدة ومتميزة للجمهور . . ورأى بعينه كم يتذوقها ويستحسنها ويطرب لها الجمهور . . فإنه ظل يستخدمها بعد ذلك بصفة دائمة . . كلما أراد أن يرضى الجمهور . . أوكلما أراد هو أن يحس برضاء الجمهور . . لأنه فى الحقيقة كان يحصل على النتيجة فوراً . . والنتيجة كانت هى دائماً : مزيداً من تصفيق الجمهور واستحسانه ورضائه . .

ولقد ساعدت الفترة الأولى من عمل فريد عند بديعة مصابنى . . فى أن يكون إحساس فريد بالجمهور جاداً ومستمراً . . ربما من أجل هذا مثلا كانت الإيقاعات الراقصة . . والاسكتشات الغنائية الشعبية ، هى من أفضل ما قدمه فريد الأطرش لمستمعيه . . ومن أجل هذا أيضاً كان الجمهور يحب أن يستمع دائماً إلى المواويل من فريد الأطرش . . مما كان يجعله ، خصوصا فى الحفلات العامة ، يشير للفرقة الموسيقية بأن تبطئ من عزفها . . لكى يرتجل هو موالا بصوته الموهوب . . مما يجعل الجمهور يصيح طرباً وإعجاباً بمجرد أن يغنى فريد : ياليل ياعين . . أووف أوف .

لقد أحس الجمهور بأصالة المطرب فى صوت فريد الأطرش .

وأحس الجمهور أيضاً بذرة العظمة فى ألحان فريد الأطرش . .

فى الواقع لو أننا أخذنا لحناً واحداً مثل « أنا . . واللى باحبه » . . الذى عبر فيه فريد عن موجة التانجو الغربية التى كانت سائدة وقتها . . لوجدنا فيه بذرة النبوغ واضحة فى أحلى وأجمل صورها .

إن التركيبة الموسيقية التى ابتكرها فريد فى هذا اللحن لا يمكن أن تخرج إلا من عقل موسيقى نابغ يضع فى الجملة الموسيقية من الهندسة والفن ما يضعنا فى النهاية أمام موهبة فريد الموسيقية كاملة .

إننى ربما أستطيع أن أضرب أمثلة عديدة فى هذا الاتجاه من بين أعمال فريد الأطرش مثل « وياك . . وياك . . مطرح ما تروح وياك » . . أو مثل أغنية « يا زهرة فى خيالى » . . التى أثبت فيها فريد الأطرش مدى تفتحه المبكر على الموسيقى الغربية . . ومدى قدرته على التطوير فى الحدود التى لا تخرج موسيقانا عن طابعها الأصلى وإطارها الشرقى .

إن هذا الطابع نستطيع أن نجده فى كثير من الأعمال الموسيقية التى تركها لنا فريد الأطرش ، ومعظمها أعمال نستطيع أن نجد فيها الجملة الموسيقية التى تتمتع بالأصالة والجمال والتميز . . وفى الوقت نفسه يمكن الانتفاع بها فى إطار عالمى .

ولكن فريد ، بقدر ما كان يتمتع بالموهبة والحماس والعناد . . بقدر ما كان أيضاً يتمتع بالقدرة على الملل فنياً بسرعة .

كانت حياة فريد الأطرش لا تترك له مجالا للتفرغ فترة كافية من أجل الاستمرار فى تأكيد وتدعيم وتثبيت لون موسيقى ابتكره هو .

إن فريد كان يفضل الحياة الصاخبة . . المرحة . . والمسلية . . بحيث إننى مؤمن تماماً بأنه لو كان قد استثمر حياته بشكل مختلف . . لترك لنا أضعاف ما ترك . . ولحقق لنفسه من الثروة أضعاف ما حققه . . ولكانت الموسيقى الشرقية قد أخذت منه أضعاف ما أخذت .

ولكن فريد كان يحب الحياة . . تماماً مثل حبه للجمهور . . ومثل حبه لفنه . . إن الجميع أخذوا منه حظاً متساوياً من الاهتمام والإقبال . . بحيث إن المنافسة كانت مستمرة بين الثلاثة دائماً – الحياة والجمهور والفن – حتى اليوم الأخير من حياة

فريد الأطرش .

ولم يكن فريد متميزاً فقط كمطرب وكملحن . . ولكنه كان متميزاً أيضاً كمستمع .

فى الواقع أن إحدى مواهب فريد الأطرش كانت قدرته على أن يضع يده فوراً على الشيء الجميل والجديد فى أى لون من ألوان الغناء والموسيقى . . وحتى فى طريقة سماعه لأية أغنية ، أو لحن جديد . . فإنه يستمع بإحساس الفنان العريق . . العادل مع نفسه . . ومع أعمال الآخرين . . إن وجود سوء تفاهم مثلا ، أو حتى وجود خلاف شخصى ، بينه وبين صاحب العمل الذى يسمعه . . لا يمنعه مطلقاً عن أن يقرر فوراً أن هذا العمل ممتاز . . أو جديد . . أو مبتكر .

إن هذا ليس أمراً مألوفاً دائماً . . بل إن المألوف أن تتأثر الأحكام الفنية للناس بمشاعرهم الشخصية . . ولكن هذا العيب العام لم يكن موجوداً على الإطلاق فى فريد الأطرش . لقد كان فى هذا المجال نموذجاً للإنسان البسيط . . الفنان . . الخالى من الحقد . . أو الغيرة . . والمشحون بالحماس لكل جميل وجديد فى الفن .

وبالإضافة إلى ذلك فإن شخصية فريد نفسها كانت خالية تماماً من سوء النية . . أو المكر . . أو الخبث . . وعلى العكس من ذلك . . كان فريد صادقاً دائماً . . ومباشراً دائماً . . وصريحاً وطيب القلب . . ربما إلى درجة السذاجة فى بعض الأحيان .

ولكننى لا أريد التعرض إلى شخصية المرحوم فريد الأطرش الآن . . لأننى أريد التركيز أولا على فنه . . فهذا هو الذى سيعيش منه فى النهاية . .

إن فن فريد الصوتى نستطيع أن نجده واضحاً فى كثير من أعماله الكبيرة مثل : أول همسة . . الربيع . . بنادى عليك . . حبيب العمر . . نجوم الليل .

فى تلك الأعمال ، وكثير غيرها ، نستطيع أن نضع أيدينا على موهبة فريد الأطرش الصوتية كاملة . موهبة تستطيع أن ترغم المستمع على أن يصيح : الله . . وعلى أن يكتشف فى المطرب أحسن ما فيه . . وأجمل ما لديه . لقد كان صوت فريد الأطرش

واحداً من الأصوات القليلة التى لها شخصية . . وقد أسعد الناس بهذا الصوت سنوات طويلة . . فى ألوان متعددة كان فيها الشعبي والاستعراضى والطويل والقصير . . والحزين والمفرح .

ولقد ربطتنى بفريد الأطرش صداقة فيها من العمق بأكثر مما فيها من الطول . . وخلال السنوات العشرة الأخيرة من حياته كانت تلك الصداقة قد توثقت إلى أقصى درجة ممكنة . . وخلال تلك الفترة كان فريد هو الصديق الذى لا يعوض . . وكان هو أيضاً الوفاء كله . . والطيبة كلها .

والواقع أن فريد الأطرش كان وفيًّا جدًّا جدًّا لأصدقائه . . بل إننى أعرف علاقات صداقة فى حياة فريد استمرت ثلاثين وأربعين سنة . . إن فريد لم يكن يحب أن يغير أصدقاءه . . كما أنه هو أيضاً لم يكن يحب أن يصبح صديقاً لأحد بسرعة .

ولم يكن فريد يحب أبداً أن يستبدل صديقاً قديماً بصديق جديد أكثر نفعاً . . إن الصداقة عنده كانت لوجه الصداقة . . قبل أن تكون لوجه المصلحة أو المنفعة أو أى شيء آخر .

وبقدر ما كانت هذه كلها مزايا حقيقية فى فريد الأطرش . . بقدر ما كان يعانى من عيب آخر . . هو بدوره نتيجة لحسن ظنه الشديد وطيبته الدائمة مع الحياة ومع الناس .

كان عيب فريد أنه لا يجيد اختيار أصدقائه !

فغيما عدا استثناءات قليلة . . لم يكن أصدقاء فريد الأطرش من الإخلاص بحيث يدفعونه لإعطاء المزيد من حياته للفن . . ولم يكونوا من الثقافة بحيث يستفيد هو من مجلسهم ثقافيًّا . . ولم يكونوا أصحاب بصيرة يضعون أيدى فريد على المستقبل قبل أن يفاجأ به . . ولم يكونوا من الحكمة بحيث يرغمون فريداً على أن يدرك أن الفنان هو فنان أولاً قبل أن يكون شريك أنس أو صديق سهرة أو شريك مائدة .

إن الصديق يصبح خطراً كبيراً حينما يعجز عن تنبيه صديقه إلى عيوبه ، قبل أن يخاطب فيه مزاياه . . وفى هذا المجال فإن حكاية عقدة الاضطهاد التى كانت تشاع عن فريد الأطرش هى مجرد إشاعة خلقها عدد من أقرب أصدقائه هو . ونقلوها إليه وألحوا بها على أسماعه . . إلى أن أصبح هو يؤمن بها فى اللحظات غير المشرقة من حياته .

إن الصداقة من جانب فريد الأطرش كانت لوجه الصداقة . . ولكنها من جانب بعض أصدقائه كانت لوجه المصلحة ، أو المنفعة ، أو حتى مجرد الأنس والتسلية .

ولم يكن من الممكن مشاهدة فريد غالباً إلا وسط حزام من الأصدقاء . لقد كان فريد حريصاً دائماً ، وفى أى ساعة من ساعات الليل أو النهار ، على أن يعيش حياته وسط مجموعة أصدقاء . ولم تكن مائدته تخلو دائماً من خمسة عشر أو عشرين صديقاً فى أى يوم من الأيام .

إن تفسيرى الشخصى لهذه الظاهرة فى حياة فريد هو أن كان لديه إحساس دفين بأن الحياة قد صدمته مبكراً . . بحيث إنه أصبح فيما بعد يخشى من نفسه . . أو يخشى أن ينفرد بنفسه . . لهذا فإنه كان يدفن نفسه دائماً وسط مجموعة من الصداقات الدائمة التى تجعل الحياة بالنسبة له أكثر احتمالا . . والمستقبل أقل قسوة . . والماضى أقل عبئاً .

من أجل هذا كان مجلس فريد الأطرش هو دائماً مجلس الأنس والسرور والتفاؤل والسعادة والضحك والتسلية و « الفرفشة » و . . شيء من الغناء والموسيقى .

ومن أجل هذا فإن فريد كان حريصاً على أن يبدأ اندماجه اليومى فى هذا الإطار من اللحظة الأولى التى يستيقظ فيها من النوم . إن مجموعة أصدقائه موجودة فى حياته ابتداء من تلك اللحظة . . وهم معه طوال اليوم فى كل لحظة . حتى وهو ضيف فى أى مكان أو أى منزل أو أى صديق . . فإنهم معه دائماً .

والأستاذ فريد الأطرش كانت حياته تختلف عن نفسه على قدر كبير . . فهو

فى حياته الخاصة مرح جداً . . وصاحب نكتة . . ولا يتفوه إلا بالكلمة الضاحكة الحلوة ، وكان لا يحب الحزن فى جلساته وكان يعيش الحياة بالعرض . . فهو يسهر الليل إلى الخامسة أو السادسة صباحاً مع أصدقائه المختارين . . وينام للظهر ، ثم ينهض من النوم ليلتقى بأصدقائه ثانية . . ويتناول طعام الغداء ، ويجلس معهم إلى السادسة أو السابعة مساء ، ثم ينام ساعتين إلى التاسعة مثلا وينهض من الفراش ليستأنف السهر مع الأصدقاء إلى الصباح . .

وفى كل هذه المجالس هناك الضحك ، والنكتة ، والسخرية ، والبهجة ، والسرور ، ومع ذلك كنا نراه فى أغانيه خصوصاً الطويلة منها تغلب عليها سمة الحزن . . خصوصاً فى طريقة إخراج صوته أو حتى فى الجملة اللحنية ، ولعل السبب فى ذلك أنه كان يحتاج إلى الأسرة التى لا ينعم بها . . وإلى الحيوية التى تنكرت له !

ومع الحياة التى كان يعيشها فريد بالطول وبالعرض كنت أتساءل : متى يجد وقتاً لكى يلحن ؟

وأين الوقت الذى ينفرد به بنفسه طويلا . . لينتج كل هذا الإنتاج الغزير فى وسط حياته الصاخبة ؟

وسرعان ما جاءنى الرد . .

فريد الأطرش كان موهوباً ، وواثقاً من نفسه ثقة كبيرة .

فاللحن فى يده لا يستغرق أكثر من دقائق معدودة . .

كان يضع الكلام الذى سيلحنه . ثم يلحنه . . ولا يغير فيه أبداً مهما كان . .

ولا يضيع وقته فى « الوسوسة » عملا بالمثل القائل : ليس فى الإمكان أبدع مما كان ! .

وكان يسعد فريد بأن يسمعنى بعض ما يلحنه بصفة خاصة . .

ربما كان هذا اعتقاداً منه بأننى أحس به أكثر من الغير . .

وعندما أحاول أن أستوضحه . . لماذا لا تكون الجملة الموسيقية هكذا . . كان يدافع

عن رأيه بحماس شديد ، حماس يجعلنى أحس بأن ما يلحنه ينطبق عليه القول المأثور : ليس فى الإمكان أبدع مما كان . .

والكلام عن فريد الإنسان قد يطول . .

فهو لا يسيء إلى أحد ، ولهذا لا يمكن لأحد أن يقول إنه أساء إليه . . أو كان سبباً فى ضرره .

على العكس ، ربما كان فريد قد لحقه الضرر من بعض أصدقائه بلا سبب . . كان وفياً . . وكان صديقاً . . وقد أجهد نفسه إجهاداً كبيراً فى حياته الخاصة . .

ولو قدر له أن يعطى جزءاً أكبر لفنه لأضاف إلى الثراء الفنى الذى أعطاه للغناء العربى . . ثراء آخر كبيراً . .

وبين ذكرياتى مع الفنان الراحل فريد الأطرش . . أنه كان يتمنى أن أركب بجانبه ولو مرة واحدة الطائرة ، وعرض على مراراً أن يدفع هو ثمن التذكرة إلى أى بلد أريدها فى العالم ، حتى ولو كانت أمريكا أو اليابان . . لا لشئ إلا لمجرد رؤيته ماذا أفعل وأنا فى الطائرة .

وفى إحدى المرات دعانى لكى أسافر معه إلى بيروت ، وفى لحظة من اللحظات أصر على هذه الدعوة وقبلتها فى غفوة من التفكير . .

وفى آخر لحظة . . هربت . .

وكان لهذا الحادث وقعه الشديد عليه ، وتأثر من هذا الهروب . . ثم صالحته بعد ذلك . . ولكنى لم أدفع له ثمن تذكرة الطائرة التى دفعها !

وكثير من الناس كانوا يعتقدون أن العزيز الراحل فريد الأطرش يدعى المرض ليستجلب عطف الجماهير ، ولكننى أشهد بأن ذلك كذب ، فقبل وفاته بثمانية أعوام كان فريد يقوم بتصوير فيلم لحساب مؤسسة السينما المصرية وكان الدكتور حاتم فى ذلك الوقت وزيراً للإعلام والثقافة ، وذهب الأستاذ فريد الأطرش ، وتورمت قدماه ،

حتى إنه لم يتمكن من النوم إلا وهو جالس على المقعد وخلفه الوسادات لصعوبة نومه وهو راقد فى فراشه . .

كلمنى طبيبه الدكتور عوض إبراهيم ، وقال لى :

– لو استمر فريد فى العمل فنى ذلك نهاية حياته . . فأرجوا الاتصال بالمسئولين لسفره إلى لندن للعلاج . .

اتصلت تليفونياً بالدكتور محمد عبد القادر حاتم ، وأخبرته بما قاله الأطباء ، وقلت له :

– إن بعض المسئولين فى مؤسسة السينما يعتقدون أن الأستاذ فريد ليس مريضاً ، وأن كل ما يريده هو الذهاب إلى لندن وباريس للتنزه كعادته ، ونقلت له ماقاله الدكتور المعالج بالحرف الواحد ، فأمر الدكتور حاتم على الفور بإيقاف تصوير الفيلم ، وسفر الأستاذ فريد إلى لندن للعلاج . .

وسافر فريد . وسألت الأطباء :

هل حقيقة أن فريد كان فى خطر ؟

فقالوا لى :

إن الفنان فريد الأطرش لا يحتمل الحياة أكثر من ستة شهور . .

ولكن الله خيب ظنهم ، وعاش بعد ذلك ثمانية أعوام بإيمانه وحبه للحياة .

وكان فريد يتسلى أحياناً بلعب القمار .

لم يكن هذا غريباً . . ففريد كان يقامر فى كل لحظة بصحته وحياته . . فليس غريباً إذن أن يقامر من وقت لاخر بنقوده .

ولقد حدث أن التقينا مرة فى مدينة باريس .

كنت أنا وحدى . . وكان هو فى صحبة الممثلة الأجنبية « ريتا هيوارث » . . التى كانت تربطها به فى تلك الفترة صداقة حميمة . . تجعلهما يقضيان ، أغلب

وقتهما معاً .

وقرر فريد أن يدعونا – ريتا هيوارث وأنا – لمشاهدة سباق الخيل .

وعندما بدأ السباق طلب منى فريد أن أرشح له رقماً يلعب عليه . . إننى حاولت أن أعتذر له بأن خبرتى منعدمة تماماً فى هذه الأشياء . . ولكن أصر على طلبه . . وأكد ذلك بقوله : لازم ترشح لى نمرة . . لوخسرت أنا أتحمل الخسارة . . ولوكسبت يبقى نقسم المكسب بالنص .

وكنت أنا شخصياً أتفاءل برقم « سبعة » . إن السلم الموسيقى يتكون من سبع درجات . . وقوس قزح يتكون من سبعة ألوان . . ورقم سبعة يتكرر هو نفسه كثيراً فى بعض آياة القرآن الكريم .

وضحك فريد من أفكارى أنا . . وبدأ يلعب .

وكانت المفاجأة هى أنه كسب ما يعادل أربعة آلاف جنيه !

وكانت المفاجأة الثانية هى أن فريد صمم فعلا على أن يقتسم معى ما كسب : يأخذ ألفين . . وآخذ ألفين من الجنيهات .

وحاولت أنا أن أرفض ، على اعتبار أن المسألة كلها كانت مزاحاً من أولها إلى آخرها .

ولكنه أصر . . بل لم يهدأ . . إلا بعد أن اقتسمت المبلغ فعلا !

وفى اليوم التالى دعوت فريد إلى الغداء . . فقد كنا نقيم فى تلك الفترة فى فندق واحد فى باريس ولكن فوجئت عند حضوره ، بأن معه عشرين صديقاً ، هم « شلته » الدائمة فى باريس ، التى تحقق له فى الغربة نوع الحياة التى يمارسها فى القاهرة . . أو فى بيروت .

ولقد كان هذا كله جزءاً من إقبال فريد على الحياة . . وجزءاً من إصراره على أن يعيش حياته بالطول والعرض . . ولا يهم بعد ذلك أى ثمن يدفعه من أمواله . . أو صحته . . أوحياته .

وكل شيء فعله فريد الأطرش . . فإنه كان يفعله بإخلاص وحب شديدين . . إذا أحب . . فهو عاشق مائة فى المائة .

وإذا لعب . . فهو مشغول عن أى شيء آخر مائة فى المائة . .

وإذا ضحك . . فهو معافى من الهموم مائة فى المائة . .

وحتى إذا أكل . . فهو متفرغ تماماً للطعام مائة فى المائة .

لقد دعانى مرة إلى الغداء فى باريس . . بمناسبة وجود وكيل جمعية المؤلفين والملحنين القادم من لندن .

كانت الدعوة عادية . . ولكن الذى لم يكن عادياً إصرار فريد على أن يكون الطبق الرئيسى فى الطعام هو « لحمة الرأس » .

صحت أنا مندهشاً : لحمة رأس فى باريس ؟ إننى لم آكلها فى القاهرة . . فهل آكلها فى باريس ؟

قال فريد : نعم .

وفعلا . ظللنا نتجول بالسيارة أكثر من ساعة إلى أن استطاع فريد أن يعثر فعلا على مطعم يقدم « لحمة الرأس » . . وهو مطعم كان مملوكاً لأحد أصدقائه التونسيين المقيمين فى باريس !

وبقدر ما كان فريد دمثاً فى أخلاقه . . ووفياً فى صداقته . . وكريماً فى حياته . . فإنه كان دقيقاً فى مواعيده إلى درجة التعصب . . فإنه يحب أن يلتزم بمواعيده مع الآخرين دائماً . . ويحب بالتالى أن يلترم الآخرون بمواعيدهم معه تماماً . . إن أقل إخلال بموعد معه هو إهانة . . أو على الأقل إهمال ربما يستحق منه أن يقاطع ذلك الإنسان تماماً .

لقد أجهد فريد نفسه فى حياته الخاصة كثيراً جداً . . وإننى أتصور لو أنه رصد ربع ما أنفقه فيها « للفن » . . لأدى ذلك إلى إثراء الفن الغنائى والموسيقى عندنا

أضعاف أضعاف ماقدمه فعلا .

لقد امتدت مساهمة فريد الأطرش فى فننا الغنائى والموسيقى إلى جبهة واسعة جداً ، شملت كل الألوان . . من الأغنية القصيرة ، إلى الطويلة . إلى الاستعراضية . إلى الشعبية . . إلى الأوبريتات .

ولو أن فريداً كان يمتلك موهبة الاستمرار فى المحاولة والإصرار عليها . . لقدم لنا أعمالا خطيرة فى المسرح الغنائى . . ولكان بالتالى قد كسب للمسرح الغنائى جمهوراً عريضاً .

وقد عمل الفنان الراحل الأستاذ فريد الأطرش من البداية فى صالة « بديعة مصابنى» مع المطرب الأستاذ إبراهيم حمودة وعلى ماأذكر أنه ابتدأ عازفاً للعود . . ثم بعد ذلك أخذ يغنى فى هذا الجو . . جو صالة بديعة مصابنى . . فقدم الأغانى الراقصة ذات الطابع الإيقاعى ، التى يرقص عليها الغير .

وبعد فترة دخل الفنان الراحل مرحلة أخرى من مراحل حياته الفنية ، حيث بدأ يعتنى بغنائه تدريجياً مستفيداً بخبرته فى المجالات الفنية . . ويلحن ألحاناً لا يغنيها إلا مطرب ذو صوت مقتدر .

وبعد ذلك حاول الفنان الراحل فريد الأطرش تقليد المصريين فى أهم ميزة يمتازون بها فى الغناء الشرقى ، وهى « القفلة » المصرية ، وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير .

وقد ساهم المرحوم فريد الأطرش فى إثراء التراث العربى فى الغناء والموسيقى . . إلا فى ناحيتين . . . هما الدور والموشح . . فلم يلحن فى هذين المجالين . . ولكنه أثرى الغناء فى الأغنية الفردية الطويلة والقصيرة الحديثة . .

فى مجال الأغنية الطويلة ، له روائع طويلة الحياة ، كأغنية « أول همسة » وأغنية « الربيع » وأغنية « بنادى عليك » وأغنية « حبيب العمر » وألحان أخرى . . وهذه الأغانى الطويلة التى تمتد لأكثر من نصف ساعة ، ربما كانت تصل فى الحفلات إلى

حوالى ساعة ونصف الساعة . . . .

ولم يكن بمستطاع أن تتحمله الجماهير إلا إذا كان له صوت قادر له مسافات رائعة . سواء فى « قراره » أو فى « وسطه » . . أو فى « عاليه » . . . وله أيضاً المقدرة على تأديته بما يريد فى جميع هذه الأوضاع بالقدر المتساوى من القدرة ، يجب أيضاً أن يكون له استعداد وهذا طبيعى لأنه ملحن . . فى أن يضيف فى كل مرة يغنى فيها الجملة إضافات جديدة ، جميلة وممتعة ، تصل إلى آذان الناس ليستمتعوا بها ولا يملوا سماعها وهو يكررها . . مرة . . مرتين . . عشر سنوات ! .

وهذا لا يكون إلا فى صوت عظيم . .

وهذا ماكان عليه المرحوم الفنان الراحل فريد الأطرش . .

أما فى مجال الأغنية الشعبية ، فقد ساهم بعشرات الأغنيات التى تتميز بالإيقاع الشعبى الراقص ، واللحن الشرقى الأصيل ، والبساطة فى التلحين وعدد المقامات التى يلحن بها هذه الأغنيات ، حتى يمكن للجمهور أن يغنيها ، ويرددها . .

وعلى سبيل المثال أتذكر أغنيات كثيرة له . . مثل « سافر مع السلامة » و . . « ماقالى وقلتله ، ولاكتب على وراق الشجر ، ونورا يانورا » ، ومثل هذا كثيراً جداً . .

وفى عالم الأغنية الحديثة خرج الفنان فريد إلى آفاق أخرى غير اللون العربى . . ولكنه بإحساس الأصالة العربية ، اختار ما يوافق المزاج العربى من نقله لبعض الألوان الغنائية الأوربية . . كالتانجو مثلا ، لأنه قريب من حيث « الميلودى » أو بعبارة أخرى من حيث الجملة الملحنة فى التانجو وقربها من الرومبــا التى هى من معالم الغناء العربى .

ومن هذه الأغانى على سبيل المثال « يازهرة فى خيالى » و« أنا واللى باحبه » ، وأغنيات أخرى من هذا النوع .

وأذكر عن الفنان فريد الأطرش . . أنه كان يحب الجماهير ، لأن الجماهير

كانت تحبه . ..لذلك كان يحاول جاهداً إرضاء الجماهير بأى شكل كان . .

ومن ملامح فن الفنان فريد الأطرش إحساسه بأن الجماهير تحب الموال سواء كان هذا الموال يبدأ بياليل ياعين ، على الطريقة المصرية ، أو بأوف أوف على الطريقة السورية . فكنا نراه يعطى هذا اللون من خلال كل أغنية شعبية . .

لقد كان فريد مطرباً شعبيًّا وجماهيريًّا من الدرجة الأولى . .

كان يجيد معرفة رغبات الجماهير ، ويجيد التعامل معها ، ويجيد تلبيتها .

ولكنه سرعان ماكان يحس بالملل .

وأحياناً كان الملل يصيبه قبل أن ينتهى من اللحن الواحد .أو الأغنية الواحدة .

إننى ذكرت من قبل أغنية « أنا . . واللى باحبه » . . كنموذج للتفكير الموسيقى الهندسى والنابغ والعالى المستوى .

ولكن ، قبل أن تصل الأغنية إلى منتصفها كنا نفاجأ بفريد وقد نقلنا موسيقيًّا إلى شيء آخر تماماً فى مقطع « انت روحى . . وانت قلبى . . إلخ » .

إن تلك النقلة تتميز طبعاً بالسهولة والشعبية والإيقاع الراقص . . كل هذا جميل . . ولكنها تمثل جوًّا آخر مختلفاً تماماً عن الجو الذى بدأ منه لحن « أنا . . واللى باحبه . . . »

ولكن . . هكذا كان فريد الأطرش !

لقد أحب الجمهور دائماً ، وعمل له ألف حساب دائماً ، ونجح فى التعامل معه دائماً .

وفى وسط هذا كله استطاع فريد أن يحتفظ لنفسه بالشخصية الغنائية المتميزة الواضحة البسيطة المحبوبة .

فى الواقع أن فريد الأطرش كان فناناً عظيماً فى عصره . . وصديقاً لا يعوض فى صداقته . . وإنساناً لا يبارى فى بساطته .

محمد عبد الوهاب

فريد الأطرش
فنان أحب كل شيء



بقلم : محمود الشريف





لا تسألونى عن بدايته . .

فقد كانت بداية فريد الأطرش متواضعة . . وأكثر من متواضعة . لم يكن من بين مجموعة أصدقائه ورفاقه الأول – وأنا من بينهم – من تنبأ له بمستقبل فنى . . أو بأى مستقبل على الإطلاق ! كان فريد من البداية مدللا جداً . . وكان بدوره يحب من الذين حوله أن يدللوه تماماً . . وكان إقباله على الحياة منقطع النظير . إن إنساناً ينغمس فى الحياة بهذا الشكل ، لا بد أن يجعل أصدقاءه يتساءلون : متى يتفرغ للعمل ؟

ولقد ظل هذا السؤال ملتصقاً بفريد الأطرش من أول يوم حتى آخر يوم فى حياته . فلم يكن فريد يخطط لحياته أبداً . . وحتى إذا حدث وخطط لها . . فإن لكل شىء فى خططه مكاناً . . إلا العمل !

ولا تسألونى عن فنه . .

فقد كان فريد الأطرش ، ولا يزال ، يملأ بالفن كل الأسماع والقلوب . . على مدى أجيال وأجيال .

إن بعض الناس يولدون وفيهم حرارة المجد بقدر معلوم . . فيمضون فى الحياة قدماً صوب قمته . . فلا تلبث الأشواك أن توجعهم وتدمى أقدامهم . . فيسقطون صرعى فى الطريق الدامى . . أو ينحرفون طلباً للخلاص والنجاة . . تائهين فى الطريق

الآخر المجاور تماماً لطريق المجد . . أما القليلون الذين يصمدون من هؤلاء . . فيمضون فى الطريق . . تدمى الأشواك أقدامهم أحياناً . . وتتكسر الأشواك تحت أقدامهم أحياناً . . ولكنهم يصلون حتماً إلى نهاية الطريق .

وهذا هو ما حدث لفريد الأطرش .

كنت قد حضرت من الإسكندرية إلى القاهرة فى نهاية الثلاثينات ، وبتوصية من صديق لى يعرف السيدة بديعة مصابنى . . استطعت أن ألتحق مطرباً بفرقتها . . وأن أبدأ فوراً فى الاشتراك فى استعدادهم للموسم الشتوى . . وهو الموسم الذى كان على الأبواب وقتها . . وكان استعدادهم له يجرى على قدم وساق .

ومن بين هذا الحشد الهائل من مثلين وممثلات . . وموسيقين وراقصات . ومطربين وعازفين ومطربات . . لفت نظرى شاب فى العشرين من عمره . . وسيم الطلعة . . نبيل القسمات . . حاد الملامح .

كان هذا الشاب هو فريد الأطرش .

وكنت أراه وسط هؤلاء . . متأبطاً عوده دائماً فى فخروثقة واعتزاز.

كان نجوم الغناء فى صالة بديعة وقتها أربعة : إبراهيم حموده . . بصوته الجهورى ، وأناقته الزائدة ، وجمهوره العريض . . ثم محمد عبد المطلب . . بصوته العذب النفاذ . . وأغانيه المحبوبة ، وشعبيته الساخنة . . ثم فريد الأطرش . . بصوته الناشئ غير المستقر بعد . . ووسامته الروحية . . وأغانيه السورية واللبنانية ، وغيرها من الألوان الشعبية الفولكلورية ، وبعزفه الممتع المعجز . . وبجمهوره الذى ما زال بعد فى بداية نموه .

أما رابعهم فكان سيد فوزى . الذى كنا نسميه وقتها « مطرب الطوارئ » . . فهو المطرب الاحتياطى دائماً !

وعند انضمامى للفرقة عند بديعة مصابنى . . كان طموحى قد صور لى بأننى سوف

أكون بغير شك النجم الأول فى عالم الطرب .

ولكن التصور شيء . . والحقيقة شيء آخر .

لقد تحولت من مطرب إلى عازف عود متواضع . . وفى أغلب الأحوال كان يسند إلى بعض الأدوار الثانوية لكى أقوم بتمثيلها فى الروايات والاسكتشات .

ولم يكن فريد الأطرش يتم التعامل معه فى هذا الجوكله باعتباره مطرباً . . وإنما كانت صفته البارزة فيه وقتها هى أنه عازف على « العود » . إنه ، فى معظم الأحيان ، يصعد إلى المسرح لكى يقدم عزفاً بمصاحبة المطرب الأول للفرقة . . وهو إبراهيم حمودة ربما من أجل هذا كان فريد الأطرش مقلاً وقتها فى ظهوره على المسرح . . بل إنه لم يكن داخلا فى البرنامج الثابت والمنتظم للعمل .

وكانت السيدة بديعة مصابنى تدلله . . وتخصه بمعاملة متميزة . . ولا تضيق عليه لهذا تركت له حرية الظهور عند ما يشاء . . وفى الوقت الذى يريد . . إننى عرفت فيما بعد أنها تترك له – بهذه الطريقة – فسحة من الوقت لكى يمارس دراسته الموسيقية والفنية فى المعهد صباحاً . . وبعد الظهر عند أستاذه الموسيقار الإيطالى . . الذى كان فريد يتلقى عنده وقتها دروسه الخصوصية فى الغناء .

وفى الوقت نفسه كان فريد كثير التردد على مقهى المطرب محمد العربى . . وكانت تربطهما صداقة حميمة . . فكان فريد يجلس الساعات الطوال وهو يستمع لصديقه ويحفظ عنه طريقة أدائه وأغانيه ومواويله البلدية والشعبية الأصيلة .

كان فريد من بدايته شغوفاً بالموسيقى . وبالغناء . . والرقص . . والحياة . . والناس . . والأشياء ، وكأنه كان منفذ وصية مدام « مارى كر وللى » التى تقول :

« حاول أن تبتسم . . فإذا كنت وحيداً فى الحياة فلا أقل من أن تغنى أو تترنم بأحد الألحان . . مثل فى الحياة دور الرجل السعيد الذى يملك مليوناً من الدولارات وعشرات السيارات الفارهة . . أضحك من كل قلبك . . وأحب من كل قلبك .

أحب الزهور والشمس والأمطار والبحار . . وأحب كل شيء ، حتى الرذيلة والشقاء والدموع والموت . . » !

لم تكن هناك فرص عملية كثيرة لعقد صداقة بين فريد الأطرش وبينى . . ولكن ، كانت هناك ألفة بيننا . . تنبعث من زمالة ثلاث سنوات مستمرة . . جعلت الألفة فى النهاية دائمة . . والفهم مشتركاً . . والتفاهم قائماً .

كان تفاهماً مقروناً بالمحبة والتقدير والاحترام والأهم من ذلك ، بالاستمرار .

كان فريد إنساناً غير عادى فى كل شيء . . بل إنه كان مجموعة ضخمة من المتناقضات . غير أن الصفة الغالبة على كل هذه المتناقضات كانت مركزة فى جملة واحدة . . وهى أن فريد الأطرش كان إنساناً له نبل الفارس . . ورقة الفنان .

إننى أذكر له موقفاً بالذات حدث معى . . وهو موقف يؤكد ما سبق أن قلته عنه فى البداية .

لقد حدث ذات مرة أن عهد إلى بدور غنائى فى اسكتش غنائى عنوانه « قلم المرور » . . من تأليف الروائى المعروف الأستاذ أمين صدقى ، وتلحين الأستاذ عزت الجاهلى .

وفى ليلة الافتتاح وقفت داخل المسرح استعداداً للدور . لقد ارتفع الستار رويداً رويداً . . ثم بدأ الأوركسترا يعزف المقدمة الموسيقية استعداداً للغناء . .

ولكن الذى حدث لحظتها هو أننى لم أعثر على بداية اللحن ، الذى تبخر تماماً من رأسى . إننى – فجأة – لم أعد أذكر منه جملة واحدة على الإطلاق !

ولك أيها القارئ العزيز أن تتصور موقفى . . ومدى الورطة التى وقعت فيها . . والارتباك الذى أحسست به . . وأنا اقف أمام الجمهور وجهاً لوجه .

لقد راح الأوركسترا يكرر اللازمة الموسيقية مرة بعد الأخرى . دون جدوى . إننى حاولت وحاولت أن أخرج من تلك الورطة . . بلا فائدة . لقد أصبحت واقفاً

فى جمود يغلبنى الذهول . . وتسيطر على المفاجأة . ويتصبب العرق فوق وجهى . بغير أن أنجح فى أن أقول كلمة واحدة !

وبينما أنا على هذا الحال . . إذ بى أسمع فجأة صوتاً قادماً من خلفى . . يدس لى ويصب فى أذنى بداية اللحن . . !

وفوراً . . استطعت أن ألتقط منه البداية . . وبدأت أغنى . . والصوت خلفى مستمر فى مساندتى . . إلى أن انتهيت من الغناء بسلام . .

وفى النهاية ، عند نزول الستار ، رحت أتلفت حولى . . وإذا الصوت القادم من الخلف هو صوت فريد الأطرش . . الذى رأيته ما زال مستمراً فى وقفته . . غارقاً فى الضحك . قائلا لى مداعباً : « علقة تفوت ماحد يموت يا أبوحنفى » !

إن تلك الصورة الإنسانية تقفز إلى ذهنى فوراً . . بمجرد أن أتذكر فريد الفنان الإنسان . . والإنسان الفنان .

إن فريد لم يلحن لحناً واحداً فى حياته لفرقة بديعة . . فلم يكن هناك تسليم بعد بموهبته الموسيقية . ومع ذلك كنت تراه يحنو على – ويرعى – جميع الألحان التى تؤدى على المسرح . . وكأنها جميعاً من تلحينه ، إنه – إذا لم يكن يعزف بعوده فوق المسرح – كان هناك دائماً بين الكواليس . . مساهماً بصوته . . مساعداً للجميع . . ومشجعاً لهم . . بروح سخية وقلب كبير . . مدفوعاً بحبه للفن . . الذى أعطاه عمره فوهبه الخلود .

إننى أذكر أن فريد الأطرش جاء ذات مساء . . وفى يده نوتة من قطعة موسيقية . . وذهب بها إلى «مسيو دافيد» رئيس الأوركسترا . لقد وضع النوتة أمامه . . وطلب منه أن يعزفها . . وكان ذلك وقت الاستراحة .

وسمعت السيدة بديعة العزف . . ولم تتمالك نفسها من فرط المتعة . . فأسرعت وراحت تسأله : ما هذا يا فريد ؟

رد فريد عليها قائلا : هذه أحدث موسيقى لأحـدث رقصة ظهرت فى العالم اليوم .

كانت الرقصة حديثة جداً فعلا ، وكان اسمها « لاكوكارتشا » وقد أصر فريد لأول مرة على أن يقوم بدور الراقص . . وأن يقدمها للجمهور فى شكل ثلاثى يشترك هو فيه مع السيدة بديعة . . ومع مدرب الرقص « مسيو إيدى » .

وفعلا ، كان هذا هو ما حدث ، وقد لاقت الفكرة نجاحاً منقطع النظير .

كان فريد فناناً عنيداً طموحاً لا يعرف اليأس ولا التردد ولا يعترف بالمستحيل . كان يتخذ من عمله وسيلة وهدفاً ومتعة يعوض بها كل شىء آخر . وكان لديه الإصرار على الاستمرار . . برغم المرارة التى كان يحس بها بسبب المناخ الذى يعمل فيه وهو غير راض عنه . . والذى وجد نفسه مضطراً لأن يعمل فيه من أجل لقمة العيش .

إن البلابل المغردة لا بد أن تهبط من السماء لـكى تمرغ أنفها فى التراب والطين تبحث عن طعامها . وبرغم أنها تحلق فى الفضاء وتسبح بين السحاب والغمام فإن لها هى الأخرى لحظاتها من اليأس والتردد والتوقف عن الغناء .

ولكن فريداً لم يتوقف أبداً عن الغناء .

لقد كان بطبعه سهلا متسامحاً لا تغير صفاءه الأمور . . متواضعاً إلى أقصى درجات التواضع . . الفن عنده رسالة ومسئولية وكرامة . إن كرامة الفنان عنده مصونة لم تمس . . ما دام الفنان لا يمد يده لأحد .

ولم يكن فريد ، رغم تعلقه منذ بدايته بالغناء ، يرى أى غضاضة فى أن يقوم بدور العازف على العود لمن هم أقل منه شأناً . . ما دام يريد ذلك .

ولقد كانت لديه قدرة كبيرة على إخفاء ألمه وكظم غيظه . . لكن بشرف وبغير حقد ولا حسد ولا رياء . . وذلك هو الذى جعله يرتفع فوق كل ما صادفه فى حياته من نكسات وفواجع . إن فاجعة واحدة فى حياته – هى موت شقيقته المرحومة أسمهان –

كانت وحدها كفيلة بتحطيمه إلى الأبد . . وبخاصة أن أسمهان لعبت دوراً حاسماً في شق طريق المستقبل أمام فريد في بدايته .

ولكن فريداً ضرب ، في تحمله لتلك الفجيعة ، المثل على صدق القول المأثور : إن العبقرى هو الذى يتأثر من البؤس بالعمل . . ومن الحب بالفن . . ومن المرأة بالمجد . . ومن الموت بالحياة . .

وقد لا يعرف الكثيرون أن بعض عمالقة العازفين الآن كانوا يعملون فى تلك الفترة ، – وما تلاها – عند بديعة مصابنى . . خصوصاً عند ما قرر فريد أن يغنى فى حفلتى الماتينيه كل أسبوع . من هؤلاء العازفين الأساتذة أحمد الحفناوى . . وأنور منسى . . ويعقوب طانيوس . . وإبراهيم عفيفى . . وغيرهم . ولقد ظل فريد على وفائه لهم – وصداقته معهم – بعد أن شق طريقه أخيراً بعيداً عن كازينوبديعة . . بالحفلات الشهرية فى الإذاعة وغيرها . . وفى جميع أفلامه السينمائية التى أنتجها . . كان دائماً يتمسك بهم . . من أول لحظة حتى آخر لحظة فى حياته .

ولقد كان آخر ما غناه فريد على مسرح بديعة هو اشتراكه كواحد من ثلاثى يضم بديعة وإبراهيم حمودة باسم « الدكتور والمحامى وبدعدع » !

وكانت أول فرصة فنية حقيقية لفريد . . وهى الفرصة التى كشف فيها عن مواهبه الفذة كعازف عود . . عندما قدم الأستاذ مدحت عاصم « الفرسان الثلاثة » . . وهى معزوفة بأساليب هرمونية وكونترباصية . . لم تكن قد دخلت بعد إلى عالم الغناء العربى .

وكان « الفرسان الثلاثة » هم فريد الأطرش . . وفريد غصن . . ومدحت عاصم .

وقد تلى ذلك الحفل الذى أقامته الإذاعة عند قاعدة الهرم . . وقدمت فيها فقرات ترفيهية وفنية مختلفة . وكان نجم الحفل هو فريد الأطرش عندما غنى « عشك يابلبل دا جنة » وغيرها من الأغانى الحديثة فى ذلك الحين .

وكانت آخر كلمة قالها فريد لبديعة عندما اختلفا معاً بسبب امتناع فريد عن السفر مع الفرقة إلى شمال أفريقيا هى : اسمعى . . الفن له كرامة . . وأنا شاب على أبواب الحياة . . وكرامتى فى الذروة .

وبذلك بدأ فريد سلم المجد . . عندما انطلق فى عالمه الرحيب . . لكى يقدم للعالم العربى أروع الألحان وأعذب الأناشيد وأحلى الأغنيات . . ثم شارك فى نهضة السينما بإنتاجه الرفيع . . حتى أصبح علماً من أعلام النهضة الفنية ورائداً من أعظم الرواد الذين أثروا حياتنا الموسيقية والغنائية .

ومع ذلك كله . . فإن أى تقييم لفريد الأطرش لا يمكن بأى حال أن يغفل من حياته الأثر الفنى والإنسانى . الذى تركته فيه تلك الفترة الأولى المبكرة من عمله مع فرقة بديعة مصابنى .

وإذا لم تكن لتلك الفترة أية ميزة سوى أنها أكدت إحساسه بذوق الجمهور . . فإنها تكون قد حققت الفائدة فى حياة فريد . . بمثل ما حققت فى حياة الآخرين الذين بدءوا مع فريد البداية نفسها .

أما القيمة الفنية الحقيقية لفريد الأطرش فلم تبدأ طبعاً إلا مع خروجه من فرقة بديعة مصابنى . .

لقد كان أول لحن حقق له النجاح والانتشار معاً هو لحنه المشهور « ليالى الأنس فى فيينا » . . الذى غنته أسمهان فى فيلم « غرام وانتقام » .

كانت أسمهان هى فى الواقع نموذجاً رائعاً للأخت التى تشغل نفسها تماماً بمستقبل أخيها . . لقد كانت هى أكثر من أحس بفريد وفهمه وعرف تماماً حجم موهبته . . وبالتالى حجم الفرصة التى يحتاج إليها إخراج تلك الموهبة إلى الناس .

كانت أسمهان موهبة صوتية فذة . . وكانت تمثل فعلا لوناً صوتياً وغنائياً متميزاً ، لم يألفه الناس من قبل ، مع أنهم بمجرد أن يسمعوا غناءها كانوا يألفونها فوراً . . إن

أسمهان المطربة كانت تشجى الناس حقاً . . وتؤثر فيهم تماماً . . ومن يسمعها مرة . . لم يكن يقدرله أن ينساها بعد ذلك مطلقاً .

وقد ساعدت أسمهان أخاها فريداً مرتين : مرة بصوتها الناجح الممتع المنتشر . . ومرة بحجم الفرص التى كانت تقتنصها لفريد وتدفعه هو أيضاً إليها .

من أجل هذا كانت خسارة فريد بموت أسمهان خسارة مضاعفة . إنها خسارة عاطفية لأخت . . وفوق ذلك خسارة عاطفية لشريكة فن ومستقبل .

وكما ذكرت من قبل ، فإن فريد استطاع مع الوقت والإرادة ، أن يتغلب على تلك الفجيعة الشخصية ويدفنها فى داخله . . منطلقاً لتحقيق ذاته فى المجال الفنى العريض والخصب الذى انشق أمامه وشقه لنفسه .

إن موهبة فريد الموسيقية ، التى اعترض كثيرون عليها فى البداية ، قد بدأت مع العمل والنجاح والزمن تتألق تماماً . . بحيث إننا نعلم جميعاً مدى النجاح الشعبى الذى حققته ألحانه مثل « أول همسة » و« الربيع » و . . أخواتها .

وربما تكون تلك الأغانى هى من الحالات القليلة فى الغناء العربى التى لم ينتقص الزمن من حلاوتها ولا من عذوبة موسيقاها . . بل أضاف إليها جمالا فوق جمال .

أما فريد كصوت يطرب الأسماع والأفئدة . . فلقد كان يتميز فى الواقع بصفات ممتازة كثيرة . . لم يكن يقلل منها طابع الحزن الذى اتسم به سنوات طويلة .

إن المستمع يستمع إلى صوت يغنى لأنه يعطيه فى الحقيقة متعة معينة : إنه يشعر بالفرحة معه . . أو بالتفاؤل . . أو بجمال الدنيا . . أو بإشراق الحياة . . . أو بحلاوة المستقبل . . أو بالنشوة . . أو بالمرارة . . وفريد الأطرش لم يكن يتعمد المرارة فى صوته وأغانيه ، لقد كانت المرارة موجودة فعلا ، وبأحجام كبيرة ، فى حياة فريد . إنه كان يحاول طبعاً التغلب عليها . . عن طريق النوع الخاص من الحياة الذى اختاره لنفسه . . حياة فيها من المتعة والانشراح والغرام والحب والتفاؤل والتسلية واللهو ما يجعل الإنسان

يتساءل فى النهاية : متى إذن يجد فريد الأطرش وقتاً للعمل ؟ أو . . من أى ثقب فى حياته الصاخبة خرجت كل تلك الأغانى والألحان والاستعراضات ؟

ولكن . . ذلك كان مجرد واحد من المتناقضات الكثيرة التى احتشدت بها حياة فريد الأطرش ، منذ نفس اللحظة الأولى التى عرفته فيها .

ومنذ عرفت فريداً كعازف ومطرب وملحن موهوب . . فإننى عرفت فيه أيضاً «المستمع الموهوب» ! إنه يعرف بالضبط – بإحساس الفنان الحقيقى – كيف يستمع لأعمال غيره . . وكيف ينفعل بها بغير أن تؤثر هى عليه . . وكيف يرى فيها نواحى الجمال والمتعة قبل أى شىء آخر . إنه لم يكن يجد غضاضة أبداً فى أن يعترف لغيره مرة بأنه تفوق عليه . . أو بأنه بلغ القمة فى عمل من الأعمال . . ذلك لأن فريداً فى داخله لم يكن غيوراً بأى حال من الأحوال . . ولا كان حاقداً أو شريراً أو خبيثاً . . وبعكس هذا كله . . كان فريد طيب القلب دائماً . . نقى الضمير دائماً . . صافى النفس دائماً . .

* * *

وأخيراً . .

إننى لا أظن أن هناك من ينكر أن الذين جاءوا بعد سيد درويش قد أضافوا الكثير . . وعمقوا الكثير . . وقدموا الكثير . . وطوروا الكثير . .

ولسوف يأتى غيرهم . . لكى يضيفوا ، ويعمقوا ، ويقدموا ، ويطوروا الكثير أيضاً . .

فمن غير المعقول إذن أن يقف التقييم الموسيقى أو الفنى عندنا . . عند سيد درويش . . وإلا فإن معنى ذلك هو الحكم من الآن باستحالة تطوير الغناء العربى أو تجديد الموسيقى الشرقية .

وليس من شك فى أن الذين جاءوا بعد سيد درويش لم يكونوا بأى حال من الأحوال نسخاً منه . . ولا كانوا صدى لأحد ممن سبقهم . . إنهم – فى الحقيقة – استطاعوا أن يقفوا بفنهم إلى جانب من سبقوهم بما قدموه من أعمال جديدة تحمل لون وطعم ومذاق وإبداع جيلهم هم .

وفى هذا المجال . . فإن فريد الأطرش هو بغير جدال واحد من هؤلاء . .

محمود الشريف





من قتل فريد الأطرش ؟!

بقلم : جورج إبراهيم الخورى

الأستاذ جورج إبراهيم الخورى هو الصحفى اللبنانى المعروف . . ورئيس تحرير مجلة « الشبكة » . . والصديق الذى اختارته نقابة المحررين فى لبنان لكى يتحدث عن المرحوم فريد الأطرش .

وقد حالت ظروف الأستاذ جورج إبراهيم الخورى من الحضور إلى القاهرة بنفسه . . فأرسل إلينا هذا الفصل من بيروت . . حرصاً من جانبه على المساهمة فى هذا الكتاب . . وتجاوباً مع الفكرة التى تحرص عليها لجنة تكريم الموسيقار فريد الأطرش .



شرف لى أن أكتب فى هذا المقام عن فريد باسم نقابة المحررين اللبنانيين . وشرف أن ترتفع إلى هذا المقام نقابات الفن فى لبنان .

وشرف أن ترتقى هذه الرفعة إلى سدة تكريم من كنت أشتهى أن يكون تكريمه فى حال حياته ، ولكن . . .

كم قتلت وكم قدمت عندكم
ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفنى قبل قولهم
جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل مايتمنى المـــرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

أبو الطيب المتنبى سبقنا زمناً فى التمنى اليائس ، حتى ذهب يأسه مثلا وحكمة . . ولو أنه عاش فى عصر الأمير الفنان فريد الأطرش ، لا فى عصر الملك الأستاذ كافور ، لما توانى عن إنشاده :

وما طربى لما رأيتك بدعـــة
لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

وتعذلني فيك القوافي وهمتي
كأني بمدح قبل مدحك مذنب
ولكنه طال الطريق ولم أزل
أفتش عن هذا الكلام وينهب
فشرق حتى ليس للشرق مشرق
وغرب حتى ليس للغرب مغرب

كان أميراً وكان أستاذاً . . أمير أصل وفصل وحسب . . وأستاذ فن وعود طرب . .

وحبنا له نحن هنا فى لبنان ، لم يكن فقط حب أذن لصوت ، أوحس لوتر ، أو قلب لحب ، بل كان أقوى وأوثق وأعمق جذوراً . كان – وقد ندرى هذا أو لا ندرى – حب العرق للعرق ، والعصب للعصب ، والدم للدم .

إن فريداً الأطرش كان لكل العرب ، ولكنه كان فى الأصل لبنانياً .

كان من جبل لبنان قبل أن يسترد جنسيته الأصلية بهوية تتعانق فوقها أرزة الرب !

الأمراء الطرشان فى الجبل الأشم . . جبل الدروز الأجاويد . . هم كما يقول مؤرخوهم من الأمراء المعنيين . . من سلالة الأمير اللبنانى البطل فخر الدين المعنى . .

وقد نزح الأمراء المعنيون عام ألف وسبعمائة ، منذ مائتين وخمس وسبعين سنة ، إلى سورية الحبيبة . . سورية الشقيقة . . سوريةالبطلة . . واستوطنوا جبل العرب الذى تفجرت منه ينابيع الأحرار والرجال والأبطال . .

من صلبهم انحدر أول موسيقار لهم يحمل اسم عائلتهم النبيلة . . وللحق والعدل والتاريخ نسجل أن أمراء الجبل كانوا متحفظين فى الخط الذى انتهجه ابنهم فى طريق الفن . . . .

فالفن لم يكن يتفق فى مطلع هذا القرن مع الأعراق والرصانات والتقاليد . .لكن

الأمير الشاب فريد الأطرش الذى ولد الفن فى دمه . . كما ولد الطموح والانقشاع واستباق الزمن . . أصر وغنى واحترف . . .

عندئذ انعقد مجلس العائلة العريقة . . وقرر مراقبة فريد فى حقله الجديد . . حتى إذا ما حافظ على مستواه ومستوى الجبل . . باركوه . . وإلا حاسبوه . . .

وبعد سنوات باركوه وعانقوه وجللوه بأكاليل الغار . . . كان فريد يفاخر بالإنتساب إلى جبل العرب ، فإذا بكل الجبال العربية تفاخر بالانتساب إليه .

خلق ونبل وشهامة عربية .

ونبوغ وتصور وعبقرية موسيقية .

وعطاء واقتدار وقيمة فنية .

ولو ساد العقل فى الناس لما كان الرسل الأنبياء . . ولو سادت الحكمة لما كان الفلاسفة والحكماء . . .

ولو ساد الفن الرفيع . . لما كان فريد الأطرش . .

ولما كنا هنا نحيي ذكراه . .

ذكراه ياما أمرها على قلوب الذين يتذكرون . .

فالذكرى أخت الرحيل . . .

والذكرى بنت الغروب . . .

والذكرى أم الغياب . . الغياب الأبدى .

ولكن ، هل يغيب من نسمع صوته فى كل الأقطار ؟

هل يغيب من نطرب لشدوه على جميع موجات الأثير ؟

هل يغيب من تردد ألحانه على سائر الحناجر ؟

هل يغيب من ترتسم صورته على صفحات الصدور ؟

هل يغيب من خلد الشرق فى موسيقاه ، وفتح للفن معاهد الجمال ، وشق للغناء

دروب الأزل ؟

هل يغيب من هدم بفنه كل السدود ، واجتاز بصوته كل الحدود ، وجعل من بلاد العرب جامعة « عربية » حقيقية ، تلتقى كلها فى المعهد الموسيقى ؟

هل يغيب من سقاه فنه من تربة كل أرض سمراء ، فإذا هو حامل جنسية روحية من كل بلد عربى ، وحامل جنسية رسمية من سوريا ومصر ولبنان والسودان ؟

مثله لا يغيب .

ومثلنا يفاخر الأجيال بأنه عاش فى عصر فريد الأطرش .

عايشناه حياً ، وعايشناه راحلا . . . حى الجسد والروح ، وراحل الجسد وحده .

نحن سعداء بهذه المفاخرة التى وفرها لنا الموسيقار الكبير الراحل .

ومن عجب الدنيا أن تنبثق السعادة أحياناً فى معرض الحزن . . وينبثق الحزن فى معرض السعادة .

* * *

فباسم نقابة المحررين اللبنانيين .

وباسم نقابات أهل الفن فى لبنان .

وبإسم كل من يؤمن بالفن وبرسالته السامية .

نطالب الدولة هنا – فى لبنان – بأن تقيم لفريد الأطرش فى لبنان تمثالاً . . وإذا أردنا التحديد ، فليكن هذا التمثال على مدخل المربع العالى ، مربع البيسين فى عالية . . فى عروس المصايف التى طالما أسهم فريد الأطرش فى إنعاشها وازدهارها وإحيائها .

هناك على تلك الرابية . . يرتفع التمثال . . وهنا على هذا المنبر . . تنتصر الكلمة وهى تعظم فناناً رفع للجمال فى كل قلب مثالا ، واختار لبنان . . وطنه الأصلى الأصيل . . ليكتب فيه آخر كلمة من كلمات حياته وآخر حرف من حروف

خلوده ، بعد أن اختطفه منا الموت .

ولقد بدأت رحلة فريد الأطرش مع الموت . . . قبل أن يموت فعلا بشهرين !

فقبل وفاته بشهرين كان فى القاهرة يمثل آخر لقطات فيلمه الجديد « نغم فى حياتى » فى إحدى فيلات شارع سليمان باشا . . عندما قال له المخرج هنرى بركات : — يجب أن تستبدل بنطلونك هذا ببنطلون آخر . وخلع فريد بنطلونه ، ثم نزع منه كل مايحتويه من نقود وأوراق و . . . . مصحف صغير موضوع فى كيس ذهبى اعتاد أن يدسه فى الجيب الأمامى ضماناً لحفظه وصيانته وعدم ضياعه . ومثل ماتتطلبه اللقطات ، وعاد إلى الطاولة ، ثم ارتد صارخاً : طار المصحف .

وتقدمت منه صديقته ورفيقته ومديرة أعماله دينيز جبور . . وقالت له :

— مابك تصرخ ؟

قال وهو ينقب فى الطاولة وتحتها وحولها .

المصحف يادنيز ، تركته هنا !

وبحثت دنيز عن المصحف فلم تجده . . . وسألت عنه جميع العاملين فى حقل تلك الفيلا ، فلم تلق رداً . . . .

لقد امتدت إليه يد خفية وسرقته . . . وأطرق فريد وهو يلهث ، ثم بدت على وجهه المتجهم علامات التشاؤم وهو يقول . . .

خلاص . . . انتهى الأمر !

وقالت له صديقته :

— ماهو الأمر الذى انتهى ؟

قال فريد وقد لمعت عيناه الغائرتان ببريق دمع :

كان هذا المصحف ضمانتى وحرزى وصلاتى التى تبعد الشر عنى . . . أما الآن فقد أصبحت بلا سلاح مقدس .

قالت الصديقة :

– لاتخف . . يكفى أنك مؤمن بالله .

ولم يجب . . بل لملم نفسه ومشى . . كان هذا المصحف المبارك الثمين هدية عزيزة على قلب فريد ، من سامية جمال . . أهدته إياه منذ خمس وعشرين سنة ، يوم كانت فى قمة حبها له . . قالت له ذات ليلة من ليالى البحث عن تتويج ذلك الحب الكبير بالزواج .

– لا أملك أثمن من هذا المصحف لأقدمه لك عربون حب ووفاء . . احفظه يافريد . . لأنه يقيك من كل الشرور .

وحفظه فريد الأطرش طوال خمس وعشرين سنة . . لم يتركه يوماً واحداً . . وكان كلما اشتد به الألم وأحدق الخطر وعصف الشر أمسك بالمصحف وأغمض عينيه وهتف : يارب .

ويشعر إذ ذاك بقوة جبارة تتسلل إلى جسده فتشد أزره وتبعد عنه المخاوف والهواجس والأخطار .

والأن ، وبعد ماضاع المصحف أو سرق أحس فريد بما كان قد أحس به شمشوم الجبار إذ قصت دليلة شعره .

وتشاءم الموسيقار المؤمن وأطلق كلماته الثلاث الرهيبة :

(خلاص . . .انتهى الأمر)

آخر كلمات قرأها .

ومن يومها تبدل إحساس فريد الأطرش بالحياة . . . وكان كلما مد يده إلى جيبه الصغير باحثاً عن المصحف الضائع ، تمتم بصمت : ياساتر يارب .

. . إلى أن كانت رحلته الأخيرة إلى لندن .

لقد حان موعده المحدد فى لندن العاصمة البريطانية التى كانت تحمل بلسم

الشفاء لفريد فقرر أن يرحل فى الرابع عشر من شهر تشرين الثانى الماضى ، وليلة سفره اتصل بنا نحن النخبة من أصدقائه وقال لنا :

ألا تأتون لتودعونى ؟

قلنا له :

– لقد جمعنا أنفسنا وقررنا السهرة فى بيتك هذا المساء لنودعك . .

واستراح على التليفون وقال بحبور :

يا الله . . .

كانت المرة الأولى التى يطلب فيها فريد من أصدقائه الحميمين أن يودعوه . . كان قلبه دليله . . وكان فى داخله صوت يدوى ويقول قد تكون هذه هى رحلتك الأخيرة يافريد . . .وساهرناه فى بيته .

ولاطفناه وسايرناه واستدرجناه فى قصصه الخاصة التى رواها بكثير من السلاسة والإثارة والتفاصيل الدقيقة . . الأمر الذى حمل أستاذنا الكبير سعيد فريحة على أن يقول له :

– أنت أخطر سينارست رأيته فى حياتى .

وما إن حلقت به الطائرة حاملة إياه مع رفيقته الدائمة دنيز جبور إلى لندن ، حتى كان صاروخ الشبكة يوجه إليه القذيفة التالية :

عزيزى فريد :

مساء الأربعاء الماضى سهرت فى بيتك الأنيق الذى تفوح من كل ركن فيه رائحة الفن . لأودعك ليلة سفرك إلى لندن فى رحلة سنوية تقليدية تعرض قلبك خلالها على صديقك البروفسور جيبسون ، وكان فى بيتك كل الذين تحبهم ويحبونك وهم نخبة مختارة من صفوة الأصدقاء والأقرباء والأحباب ، ومع أنك كنت متعباً ومرهقاً وخارجاً لتوك من أزمة صحية مداهمة استوجبت استدعاء طبيب إلا أنك سهرت وسايرت ورويت

قصصاً استدرجت أقاصيص . .

وأنت والحالة هذه . . أشرق وجهك وشعت ابتسامتك وبدوت وكأنك أنت السليم المعافى ونحن المرضى . . بك وبحبك وبشخصيتك الحلوة !

وأنا واثق من أن الدكتور جيسون لن يقول لك أكثر مما قاله فى السابق : عش كما أنت . . فأنت مثل لبنان . . فوضى منظمة . .

وأعتقد أن سر عمرك كله يكمن فى حبك للحياة ، وللناس ، وللأصدقاء بنوع خاص . . بينهم تحيا ، وبينهم تنتعش ، وبينهم تنسى قلبك ولكنك لا تنسى حبك وعطاءك وتضحيتك الدائمة .

من قلبي أتمنى لك عودة ميمونة إلى لبنان وإلى أهلك وعشيرتك وجماهير الشعب العربى الكبير الذى منحك كل هذه القدرة على الحياة .

وألف نقرة على خشب الورد .

وقرأ فريد القذيفة فى لندن كلينك وفرح بها . . أسعده أن يذكره محبوه فى غيابه كما يذكرونه فى حضوره . . فالوفاء كان عقدة الأطرش المزمنة . . وكان أكثر مايؤلمه ويعذبه ويمزق قلبه فوق ماهو ممزق أن يغدر به صديق كان يحسبه وفياً .

أقول هذا لأسجل أن فريداً كان سعيداً بآخر كلمات قرأها فى حياته وكانت هذه الكلمات من قلب الشبكة .

نصف القلب تعطل ،،

لكن السعادة الروحية التى وفرتها له الشبكة لم تلبث أن تبددت ليحل محلها الضيق والتبرم والثورة الجامحة . .

تضايق فريد فى لندن كلينك فتركه وتوجه إلى أوتيل هيلتون وهو فى أقصى حالات المرض . . . ثم مالبث أن سارع باستدعاء طبيبه المزمن جيسون الذى نقله فوراً إلى

برومبتون هو سبيتال . . . وأخضعه من جديد للفحص الدقيق . . . وهز الطبيب رأسه يأساً وقال له . . كنت تعيش بنصف قلب وها هو نصف النصف قد تعطل . . بت تعيش ياصديقى بربع قلب .

وتقول دنيز جبور :

وصعق فريد . . وازداد ارتباكه عندما تركه جيبسون مع مساعديه ليذهب إلى ألويك أند . . يذهب مساء الجمعة ولا يعود إلا صباح الاثنين تاركاً مريضه الموسيقار العربى الكبير فى حالة الخطر .

وتضيف دنيز :

والأخطر أن جيبسون منع عن فريد حبوب الديكوكسين التى تشد عضلات القلب طوال خمسة عشر يوماً . . لماذا . . لستأدرى كل ماأدريه أن حالة فريد الصحية والنفسية قد انهارت تماماً .

وأكثر — تستطرد دنيز — دهمت فريد نوبات بكاء . . . كان كلما لمح الدواء فى يد الممرضة بكى كالأطفال . . وصرخ : ارحمونى . . لم أعد أحتمل أى دواء . . وكان كلما أرخى الليل سدوله . . ورحل الزوار . . استسلم للبكاء والنحيب . . وكان كلما تلمس المصحف الشريف الذى أضاعه فى القاهرة سالت من عينيه الدموع وهتف : ياساتر يارب .

* * *

وأخيراً . . قال الدكتور جيبسون لدنيز . .

— أنصحك بإرجاع فريد إلى وطنه . . وفهمت دنيز . . فهمت أن جيبسون نزع يده من فريد وأنه يفضل له أن يموت فى بيته وبين أهله وأقربائه وأصدقائه على أن يموت فى عاصمة الضباب التى لا أهل فيها ولا أقرباء ولا أصدقاء .

ثلاث سهرات وحلم مرعب . . . .

وودع فريد الطبيب البريطانى الذى تعرف عليه منذ ثمانية عشر عاماً بقلب كامل ولوعليل وتدرج معه إلى نصف قلب . . ثم إلى نصف النصف ثم إلى دقات بطيئة متثاقلة . . كأنها دقـــات الطبول الحزينة فى مجاهل الموت .

وفريــد لا ينام . . . إنه صديق الليل وعدو النهار . . فإلى أين يذهب وكل مافى لندن يغرى بالسهر . . ؟

ولأنه يحب أن يتسلى فقد ذهب إلى نادى بالم بيتش . . فلا شىء يخفف عن فريد ثقل الحياة مثل اللعب . . إن اللعب ينسيه مرضه . . ويعزله عن العالم الخارجى . . ويسكنه فى بيت مغلق تدور فيه « بلية » بيضاء حول سبعة وثلاثين رقماً مع الصفر . . اسمها الروليت . .

سهر هناك حتى الصباح . .

وطوال ثلاثة أيام سهر حتى الصباح . . ولم يبال بالخسارة سواء كانت بسيطة أو فادحة لأن فريداً لا يلعب ليكسب . . بل ليتسلى . . وفى اليوم الرابع لم يتسل بل نام فى الفندق نوماً عميقاً تخلله حلم مرعب .

حلم بأن المرحومة أمه السيدة علياء المنذر تتدثر باللباس الأسود وتبكى عليه . . وبالقرب منها تقف شقيقتها السيدة طرب بالحجاب الأسود وتشاركها البكاء .

وصحا من النوم مذعوراً وهو يروى لدنيز مارآه فى الحلم ويحاول أن يطمئن نفسه ويقول . . ولكن أمى لن تأخذنى إليها . . قالت له دنيز وهى تهدئ من روعه :

لاتخف ، كلنا نحلم ، ولا يتحقق شىء من أحلامنا . . .

– ولكنها لن تأخذنى إليها . .

– خيراً إن شاء الله . . يبدو أن نفسها تطلب الرحمة . . فصلى لأجلها . .

– دعينا نسافر ، أريد أن أرجع إلى بيتى . .

وفى الطائرة التى كانت تنقله من لندن لتعيده إلى بيته فى لبنان . . تردد على لسانه عبارة واحدة فقط :

يارب أوصلنى إلى بيتى . . ارحمنى ولا تدعنى أمت فى طائرة !

وكانت دنيز تكفكف دموعها الصامتة . . وتشاركه النداء فى سرها . . ثم تبتسم وتقول :

– كل عمرك وأنت تطلب من ربك ألا يميتك فى طائرة أو فى سيارة أو فى شارع فلا تخف . . إن الله يحب الذين يسبحونه بأصواتهم الجميلة . .

– أنت تعرفين أن من أقدس أمانى أن أموت على المسرح أمام الجمهور الحبيب . . ولكنى الآن فى طائرة . . وكل ما أرجوه أن أصل إلى بيتى حياً . .

– هل تسمح بأن تخلصنا من الحديث عن الموت . . يقطع الموت ويقطع ساعته . .

وأطلق فريد زفرة حرى من أعمق أعماق صدره وقال لدنيز :

يادنيز . . . إن أيامى معدودة . .

قالت دنيز :

بعيد الشر . . .

– أعطينى أيضاً حبة إيزورديل . .

– يكفى إيزورديل . . تناولت حتى الآن ست حبات . . وحبة واحدة توسع شرايين القلب . . فكيف بنصف درينة ؟

– أعطينى حبة سابعة نفسى يضيق فى صدرى .

وأعطته حبة سابعة . . واستجاب الله لنداء فريد فحطت الطائرة بمطار بيروت يوم الأحد ووصل سالماً إلى البيت .

إلى سن الفيل ،،

وفى البيت كانت خطيبته السيدة سلوى القدسى تحيط به وترعاه وتشرف على راحته . لكنه لم ينم فقد انتابته أزمة ألم شديد كادت تمزق صدره تمزيقاً . . لقد تضخم القلب كل التضخم . . ومع القلب تضخم الكبد . . واحتلك القلب بالكبد فسبب الألم الشديد .

وجاء الدكتور إبراهيم الحجار . . وأمره فوراً بالانتقال إلى المستشفى القريب مستشفى الحايك فى سن الفيل . . ورفض فريد . . لكن الطبيب أصر . .

فقال له فريد . .

إذا أدخلتنى الاثنين فتى تخرجنى ؟ وفكر الطبيب قليلا . . وقال – الخميس . .

وقبل فريد . .

وفى الجناح رقم ٢٠٢ بمستشفى الحايك دخل الدكتور حجار فى صراع مع الموت ، محاولا إبعاد شبحه الرهيب عن الموسيقار الصديق . .

يوم الاثنين كان يوم الخطر المدلهم . . فقدتوقفت كليتا فريد عن العمل . . وتعبأ جسمه بالماء . . فوق التضخمين القاتلين . . تضخم القلب وتضخم الكبد . . وأيقن الطبيب أن الحالة خطرة جداً . . ولم ينكر هذه الحقيقة الأليمة عن خطيبة فريد ورفيقته وذويه وفى مقدمتهم شقيقه منير ، وقريبه السيد رياض جنبلاط زوج السيدة كاميليا ابنة المرحومة أسمهان . . وقرروا استدعاء الأخ الأكبر الغائب فى الكويت السيد فؤاد الأطرش . . الذى ذهب من القاهرة إلى درة الخليج ليحتفل بعيد الأضحى مع بعض أصدقائه فتولى منير أمر الأتصال التليفونى به واستدعاءه على جناح البرق . .

لكن الطبيب اللبنانى المشهور استطاع بعلمه وبراعته أن يبعد الألم عن فريد . . .

ويجعله ليل ذلك الاثنين . . ينام حتى الصباح . .

ويوم الثلاثاء تحسنت صحته ولكن الزيارات ظلت ممنوعة عليه . . سلوى القدسي ودنيز جبور وحدهما ، كانتا تملكان حق الدخول إلى جناح الموسيقار العليل .

يوم الأربعاء أشرق وجه فريد فرفع الطبيب يديه إلى السماء وقال: معجزة .

ثم اقترب من منير الأطرش وقال له :

اجعلوا تاريخ ٢٣ من كل شهر . . عيد ميلاد جديد لشقيقكم فريد . .

ويوم الخميس صحا فريد تماماً . . ولكن أحداً لم يكن يعلم أنها صحوة الموت .

قال لشقيقه فؤاد الأطرش الذى وصل لتوه من الكويت .

– اذهب إلى السينما واحضر فيلمى الجديد « نغم فى حياتى » وأعطينى رأيك الصادق به . . احضره أنت لأن القدر ضن على بحضوره مع الجمهور . . مساء الاثنين أدخلونى إلى المستشفى ولم يأخذونى إلى السينما . .

ونظر فريد إلى صديقه روبر خياط . . وسأله عن أغانى الفيلم الثلاث حبينا حبينا ، علشان ماليش غيرك ، وياحبايبى ياغايبين . فقال له .

– أنزلناها اليوم إلى الأسواق . . وتطلع إلى طبيبه الخاص وقال له :

وعدتنى أن تخرجنى من المستشفى يوم الخميس . . واليوم هو الخميس . . فلماذا لم تف بوعدك ؟

أجاب الطبيب . . لن أخرجك من هنا قبل آخر السنة . . اهدأ ودعنى أعمل وأتكل على الله . .

آخر الوجوه والكلمات :

وفى تمام الرابعة من بعد ظهر الخميس الواقع فى ٢٦ كانون الأول ١٩٧٤ تسلل شبح الموت إلى جناح الموسيقار الكبير فريد الأطرش فى مستشفى الحايك بسن الفيل .

كان فى جناحه وجهان حبيبان . وجه سلوى القدسى ووجه رياض جنبلاط .

أما دنيز جبور فكانت قد ذهبت إلى مطار بيروت لتسأل عن حقيبة فريد الضائعة إنها حقيبة تحتوى على جميع التقارير الطبية والصور بالأشعة التى أخذت لفريد فى لندن . . لقد ضاعت هى الأخرى مابين لندن وبيروت ولم يجدوها حتى الآن . .

قال فريد لسلوى :

إنى جائع .

فتقدمت منه وفى يدها كاسة مهلبية ووضعت بفمه ملعقة . . ولكنه لم يقو على تقبل ملعقة ثانية .

قال لسلوى :

عاد الألم إلى صدرى . . إنى متضايق . .

وأسرعت سلوى تستدعى الممرضة الفرنسية التى جعلوها راعية لفريد . . وتتصل تليفونياً بالدكتور حجار . .

واقترب رياض جنبلاط من فريد يمسكه بيديه . . فقال له :

– إننى متضايق يا رياض أنقذونى !

– ما بك ؟ بماذا تحس ؟

– بحرق محرقة فى باب معدتى . .

– ماذا أكلت ؟

– ملعقة مهلبية . . دخيلكم أنقذونى . .

– تعال ارفع رأسك قليلاً عن الوسادة . .

– ارفعنى . . ورفعه قليلاً عله يريحه ولكنه لم يسترح . . ودخلت الممرضة الفرنسية وهى تحمل جهاز أوكسجين وضعته على فم فريد وأنفه فصرخ بها :

– أبعديه عنى . . أكاد أختنق . .

– إنه يريحك . . يا رياض . . أرجوك . . مدد رجلى على السرير . .

– إنى لا أستطيع أن أحركهما ومد رياض يده اليمنى إلى ساق فريد ليمددهما . . وأسند رأسه بيده اليسرى وأخذ يزيحه قليلاً . . وفجأة . . تلاشى فريد بين يدى رياض . . وسقط رأسه على الجدار القريب واصطدم به .

وهنا كان قد وصل الدكتور حجار مع معاونيه فأخذوا يدلكون قلبه وجسمه سريعاً ولكن . ولكن فريد كان قد لفظ آخر أنفاسه .

كان فريد قد مات .

من عجائب القدر ، ،

لقد وعده الدكتور حجار بأن يخرجه من المستشفى يوم الخميس ، فوفى بوعده . . أخرجه ولكن ميتاً . . وأخرجه محنطاً إلى بيته فى اللويزة .

وإلى بيت الطائفة الدرزية فى بيروت . . وإلى القاهرة حيث أوصى بدفنه قرب شقيقته أسمهان ومن عجائب القدر أن فريداً ولد فى عيد الأضحى ومات فى عيد الأضحى . وأسمهان ولدت فى الماء وماتت فى الماء . .

كانت أمها حاملا بها . . وهى فى باخرة متوجهة من بلاد الأناضول إلى لبنان عام ١٩١٩ حيث عين والدها الأمير فهد الأطرش متصرفاً على منطقة حاصبيا فى عهد العثمانى .

وفى البحر ولدتها . وشاء والدها أن يسميها « بحرية » تيمناً بالبحر . . ولكن والدتها رفضت هذا الاسم وفضلت عليه « أمل » . . ولما احترفت الغناء كانت « أسمهان »

ثم ماتت أسمهان غرقاً فى الترعة . . وقد أكرمه ربه فلم يمته فى طائرة أو فى سيارة أو فى شارع بل أماته فى بيته وبين أهله وأحبابه ومعهم الملايين التى أحاطته بقلوبها فى كل بقعة من بقاع الأرض .

من قتل فريد ؟

و . . . . . يبقى السؤال الكبير الذى لاح على شفاه الناس وهم يذرفون الدموع على موسيقارهم المحبوب . . ويرددون : إنه لا يزال صغيراً . . فلماذا مات ؟ وهل هناك من تسبب فى موته ؟

هل هناك مرض القلب وحده ؟ هل هناك العلاج الذى لم يكن واقياً ؟

هل هو الدواء الكثير ؟ هل هوالسهر الطويل ؟ هل هو العذاب الدائم ؟

هل هو الحب من غير أمل ؟ هل هو فى عدم الانقياد إلى رغبات الأطباء. والتخفيف من حدة الأكل والسهر والإرهاق ؟

هل هو فى إحيائه الحفلات الغنائية الطويلة فى الوقت الذى كان يجب أن يركن فيه للهدوء والراحة الاستسلام للسرير ؟

هل هو فى تحدى النصيحة الحاسمة التى قالها له الدكتور دبغى : إما أن تغنى وتموت وإما أن تعتزل وتعيش ؟

إن الذى قتل فريداً الأطرش هو فريد الأطرش . . قتله حبه لفنه . وقتله إحساسه بوجوده وقتله حبه لجمهوره الذى كان يطالب به إلى الأبد . . وقتله حقده على قلبه الذى أعطى الفن والحب والدنيا كل شىء . . ولم يعطيه هذا القلب شيئاً .

وقتله مع حقده على قلبه حبه الكبير للحياة . .

ولكن الذى لم يقتله أبداً . . هو إيمانه بالله تعالى . . خالق السماوات والأرض ومانح الحياة لمن يشاء . . والذى لاتسقط شعرة من رؤوسنا إلا بأذنه وإرادته

فى ذمة الله ياصديقى الحبيب . . .

يامن جفت دموعى حزناً عليك ، ويكاد يجف مع دموعى حبر قلمى . .

جورج إبراهيم الخورى

دفاع عن الضياع الحضاري



بقلم : بليغ حمدي





أحبابنا يا عين ..

راحوا معانا ..

رحنا وراحوا عنا ..

لا حد منا انتهى ..

كان الراديو يذيع تلك الأغنية .. عندما وجدت نفسى أتغنى بها .. وأستسيغ كلماتها .. وأحفظ موسيقاها .. وأرددها من المرة الأولى لسماعى لها ..

وهذا هو فريد الأطرش ! كان كذلك .. وظل كذلك .. طول معرفتى به كجمهور .. وعلاقتى معه كصديق .. وتقديرى له كفنان .

كان أسلوب فريد الموسيقى يتميز بالبساطة الشديدة .. والشعبية التى تحس معها أنك أليف معه ومع ما يغنيه كما لو كنت قد عشت معه طول عمرك .

إن فريد الأطرش كان يكسبك موسيقيًا إلى صفه منذ اللحظة الأولى . ربما من أجل هذا كانت شعبيته الضخمة .. واستمراره الناجح .

إن النجاح ليس ساذجًا .. ولا هو تلقائى .. أو شىء يأتى بالصدفة لكل من يحدث أن يجده فى طريقه . لهذا فإننى أؤمن دائماً بأن منتهى الإدراك والفهم والتعقل .. أن يحاول الإنسان إدخال هذا الاعتبار فى الحساب .. عندما يحاول تقييم الفنان أمامه .. أحيًا أو ميتاً . وبناء على ذلك فإن ما يجب أن يشغلنا عند نجاح لحن مثلا .. ليس هو :

كيف نجح .. وإنما السؤال يجب أن يكون هو : لماذا نجح ؟

إن نجاح الفنان فريد الأطرش كان يكمن بالدرجة الأولى فى أنه جعل الجمهور منذ لحظته الأولى ، يحس تماماً بوجوده . . وبتأثيره فى الغناء العربى والموسيقى الشرقية . . وبعد ذلك بمساهمته فنيًّا فى تشكيل ذوق المستمع العربى لفترة زمنية طويلة .

إن أقرب دليل واضح على ذلك هو النجاح المدوى والمستمر لفريد الأطرش فى الدول العربية بشمال أفريقيا .

إن أى قارئ ذهب إلى باريس .. قد لمس بغير شك مدى تعلق المغتربين هناك من تونس والجزائر والمغرب .. بفريد الأطرش .. وربما لا يستطيع بعضهم أن يعرف من اللغة العربية أكثر من كلمات قليلة .. ولكنه يحفظ غالباً أغانى فريد الأطرش عن ظهر قلب .

وفى بلده نفسها ، سواء تونس أو المغرب أو الجزائر ، فإن شعبية فريد الأطرش كانت دائماً واضحة وضخمة ومستمرة .

إن الاستعمار الأجنبى الذى سيطر على تلك البلاد سنوات طويلة ، حاول باستمرار أن يمسخ إلى النهاية إحساسهم بالانتماء العربى .. وحاول دائماً أن يلغى تماماً شعورهم بشخصيتهم القومية .. ونجح أحيانا فى أن يعطيهم صورة الجزء التابع لأوربا والغرب .. وليس صورة الجزء النامى من العالم العربى .

ربما من أجل هذا كان رد فعل المواطن العربى هناك عنيفاً وكاسحًا .. للتمسك فى إصرار بكل ما يشده إلى شرقيته وعروبته .

ولقد كان فريد الأطرش ، فى أغانيه وموسيقاه . أحد الملامح البارزة لتلك الشخصية الشرقية فى الموسيقى والعربية فى الأسلوب .

كان تمسكه بالشرقية فى ألحانه .. وبالعروبة فى صوته يغذى فى التونسى أو المغربى أو الجزائرى الخاضع للاحتلال الفرنسى .. شعوراً مكبوتاً بعروبته ، لهذا كان إقبالهم

الضخم على الاستماع لألحانه ومشاهدة أفلامه وترديد أغانيه . إن فن فريد الأطرش هو جزء من دفاعهم عن أنفسهم ضد الاندماج والذوبان النهائى فى عالم آخر ودنيا وفن آخر .. جاء يكتسحهم من الغرب .

كان فريد الأطرش كذلك بالنسبة لهم فى شمال أفريقيا ..

وكان فريد الأطرش كذلك فى الغناء العربى والموسيقى الشرقية دائماً بالنسبة للمستمعين والجمهور .. وحتى عندما كان فريد الأطرش يترجم إلى العربية إحساساً أعجب به فى الموسيقى الغربية . فإنه كان يترجمه بما لا يتعارض مع الذوق العربى أولا .. وبما يخدم هذا الذوق ثانياً .. وبما يحتفظ له بطابعه الأصيل أخيراً ..

إننى كنت ما أزال صبياً صغيراً عندما بدأت أردد أغانى وألحان فريد الأطرش . وإذا كنت أنا قد فعلت ذلك وقتها على مستواى المحدود كمستمع . . فإن كثيرين من الملحنين والمطربين قد فعلوا أكثر من ذلك وقتها على مستواهم هم كمحترفين . إن أى دارس لتاريخ الفن يستطيع أن يدرك على الفوركم كان تأثير فريد الأطرش على اتجاهات الملحنين المعاصرين له ابتداء من الأربعينات . . خصوصاً « التانجوهات » « التى بدأها هو فى أغنيته المشهورة « أنا . . واللى باحبه » .

إننى أحسست وقتها بمدى التطور الذى حققه فريد الأطرش فى ذلك اللحن بالذات. وقد أتيح لى أن أعلم بعد ذلك بسنوات طويلة أن الأستاذ محمد عبد الوهاب قد انتابه الشعور نفسه – وأكثر – فى ذلك الحين .

لقد كان فريد الأطرش متمسكاً بالشرقية الأصيلة فى الموسيقى . . ومع ذلك فإنه كان ناجحاً وشعبياً فى المحاولات التى بذلها من أجل تطوير تلك الموسيقى . .

ولم يكن نجاحه ، ولا كانت شعبيته ، فى الموسيقى وحدها . . ولكنها امتدت إلى أعماله كلها . . بما فى ذلك أعماله فى السينما . .

إن أى نجم سينمائى عندما كان يقول عن أحد أفلامه إنه نجح .. فإن السؤال التالى

الذى كان يسمعه فوراً من الوسط السينمائى فى مصر هو ، إلى أى حد كان فيلمك ناجحاً ؟ هل اقتربت مثلا من نجاح « حبيب العمر » ؟

إن السينمائيين كانوا يقصدون بـ « حبيب العمر » . . فريد الأطرش ، ولقد كان نجاح أفلامه السينمائية هو فى حد ذاته مقياساً يقيسون به الآخرين .

مع هذا كله .. فإن نجاح وشعبية فريد الأطرش .. كان أقل مما يستحق ، والأكثر من هذا ، أقل مما يستطيع !

لم يكن فريد الأطرش يعرف ، أو يجيد ، استغلال نفسه . إنه فى حياته كان إنساناً بسيطاً جداً ، يعيش ليومه .. وليس التخطيط للمستقبل جزءاً من مشاغله أو همومه اليومية . إن هذا الجانب من شخصيته ، وجوانب أخرى كثيرة ، لم يتح لى أن أعرفه إلا عندما توثقت علاقتى به كصديق فيما بعد .

كان فريد مقبلا على الحياة تماماً .. وإلى آخر مدى .. كان يعيش كملك .. أو كأمير ، ولم يكن يهمه فى قليل أو كثير أن يستغل هو نفسه .. أو أن يستغله الآخرون .

ولكى أعطى مثالاً واحداً على ذلك .. فإننى أذكر القارئ مبدئيًّا بأن فريد الأطرش كان عازفاً بارعاً على آلة « العود » . . إن لم يكن هو أعظم عازف فى العالم العربى كله . ولأنه لم يكن مجرد عازف .. وإنما كان أيضًا موسيقيًّا ، وبالتَّالى فهو يفكر فيما يعزفه .. فإن احتمالات النجاح الفنى والتجارى كانت أمامه على مصراعيها .. لو أنه قدم للجمهور مجموعة أسطوانات من العزف المنفرد على العود .. أو العزف المنفرد مصحوبًا بفرقة موسيقية .

ولكنه لم يفعل ذلك .. بكل أسف .

وأذكر أننى عندما بدأت أستحثه على ذلك ، وكان هذا قبل رحلته الأخيرة إلى لندن اقتنع وانفعل وتحمس للفكرة .. وقال لى : يا ريت نعمل الفكرة دى سوا .. وأنا أول ما أرجع من لندن نقدر نعمل خمس أو ست أسطوانات فوراً ..

إنه لم يفعل هذا فى تلك المرة .. لأن الموت كان أكبر منه .. ولكنه كان يستطيع أن يضعها دائماً طوال سنوات عديدة ضاعت منه .

ذلك أن فريداً الأطرش ، كتعبيرنا فى الوسط الفنى : « يقول .. أو « قوال » . إنه يقول ما يريد .. ويعبر عنه .. فى شرقية وأصالة .. وتطور ! هذا هو انطباعى المبكر عنه منذ عرفنا له لحن المرحومة أسمهان « قهوة . . يا مين يقول قهوة » . . ثم فى اللحن الذى غناه هو بصوته « أنا .. واللى باحبه » .

إن فناناً يمتلك موهبة فريد الأطرش ، وقدرته ، وتفوقه ، وإحساسه .. كان يستطيع أن يعطى المكتبة العربية أضعاف أضعاف ما أعطاه .. كان يستطيع أن يفعل ذلك فى ألحانه وأغانيه .. وحتى فى أفلامه . إن من يرى ويسمع اسكتشاته الموسيقية والغنائية الجميلة فى أفلامه السينمائية ، يحس على الفور أن بذرة النجاح الضخم فى المسرح الغنائى كانت موجودة فى فن فريد الأطرش .

إن التفسيرات لذلك كثيرة . . ولكننى شخصيًّا ، مقتنع بتفسيرين . . أو بسببين .

السبب الأول هو أن إقبال فريد الأطرش على الحياة .. وحبه لها .. قد استهلك جزءاً كبيراً من وقته .. بحيث إنه كان مشغولا أساساً بيومه .. وليس بالتفكير فى مستقبله .

والسبب الثانى كان هو طبيعة شخصية فريد الأطرش نفسه .. إن فريد كان معتزًّا للغاية بنفسه ، وعنيداً إلى آخر مدى .. حتى فيما لا يخدم فنه هو .. !

إن هذا هو السبب فى أن المرحومة أم كلثوم لم تغن من ألحانه !

إن فريد الأطرش لم يعرف كيف يتعامل مع سيدة فى الغناء العربى كأم كلثوم . لقد كانت له طريقته هو فى التعامل .. وهى طريقة كانت – فضلاً عن اقتناعه بها – جزءاً من شخصيته هذه الطريقة هى التى جعلته يرى مثلا .. أن فناناً كبيراً وناجحاً وشعبيًّا مثله .. لا بد أن يكون له حق اختيار الكلمات التى يلحنها لكى تغنيها أم كلثوم .

وأم كلثوم ، – من جانبها – كانت ترى أن من حق فنانة فى مكانتها أن تختار هى

الكلمات التى تنفعل بها ، والتى تعطيها للملحن لكى يلحنها .

ولهذا السبب لم يتم هذا اللقاء الفنى .. الذى كان منتظراً وممكنًا .

لقد اختار فريد الأطرش قصيدة « الأخطل الصغير » « وردة من دمنا » لكى يلحنها ويعرضها على أم كلثوم لكى تغنيها .

إن أم كلثوم لم تغنها .. ليس اعتراضاً على القصيدة ذاتها .. ولكن لسبب آخر .. حددته هى بكلماتها : ما دام فريد عاوز يلحن لى . . إذن . . يلحن لى أغنية حفلة . . أغنية تصلح لما أؤديه على المسرح فى حفلاتى ..

ولكن فريد رفض أن يفعل ذلك .. إلا إذا غنت له أم كلثوم أولا أغنية « وردة من دمنا » لقد اعتبر هذا التصرف من أم كلثوم هو – أولا – إهانة له .. أو تقليلا من شأنه .. وهو أمر لم يكن صحيحاً بالطبع .. وهو ثانياً تعامل معها بعناد .. هو فى الحقيقة جزء طبيعى – وغير متعمد – من شخصيته .

وهكذا خسرنا لقاء فنياً كان سيصبح مثمراً جداًّ ، وناجحا للغاية !

ولكن ، تلك كانت هى طبيعة فريد الأطرش !

لقد كانت طبيعته لا تسمح بتكوين العلاقات اللازمة مع المطربات والمطربين الذين يحتاج إليهم لنشر ألحانه .. إن المرحومة أسمهان – أخته – ماتت مبكراً لسوء حظه .. وهى فى حد ذاتها كانت تستطيع أن تكون ناشراً ناجحاً جداًّ لألحانه .. لأنها كانت تستطيع أن تكون موصلا إضافيا ممتازاً لألحانه إلى آذان الجماهير العربية ..

بعد أسمهان .. لم يستطع فريد الأطرش ، بحكم شخصيته وطبيعته ، أن يقيم العلاقات التى تسمح له باكتساب ناشرين إضافيين – فوق صوته هو – لألحانه إلى الجمهور .. ومن الممكن أن تكون هذه المشكلة مزعجة لأى فنان .. لكنها لم تزعج فريداً فى كثير أو قليل .

كان فريد الأطرش الملحن يفضل الاعتماد على فريد الأطرش المطرب ! إنه

لم يخطط أبداً ، أولم يتصور أبداً ، أهمية أن يكون له ناشرون آخرون غير صوته .. بالرغم من أننى مؤمن بأن كل المطربات والمطربين الآخرين كانوا يحبون العمل معه والغناء من ألحانه .

وربما كانت الفنانة صباح هى الاستثناء البارز هنا .. لأن صباح كانت تربطها صداقة وثيقة بفريد الأطرش .. لهذا أعطاها فريد عدة ألحان شعبية حققت صباح — بها ولها — نجاحاً كبيراً . . كان يجب أن يكون مشجعاً لفريد على أن يتعامل بموسيقاه مع الأصوات الأخرى المنتشرة ..

إننى أسوق ذلك لكى أدلل على أن فريداً لم يكن يخطط أبداً لنفسه . إنه كان فى فنه — مثلما كان فى حياته الشخصية — تلقائيًّا وبسيطاً ومقبلا على الحياة الآن ، وفى هذه اللحظة ، قبل أن يفكر فى الحياة باعتباره الغد ، والمستقبل .

لم يكن فريد يعيش لمستقبله ، ولا حتى يفكر فى مستقبله . كان يريد فقط أن يفكر فى الحياة باعتبارها الحاضر . إنه حاضر له ماض ولكن ليس له مستقبل . لقد انعكس هذا الإحساس على كل مجالات حياة فريد وفنه ، بما فى ذلك حياته الشخصية .. وحتى فى علاقته بالمرأة .

إننا جميعاً نعلم أن فريداً لم يتزوج ، بل إنه كان دائماً يرفض فكرة الزواج من أساسها فى كل مرة يحس فيها بضرورة الاختيار واتخاذ موقف .

إن فريداً لم يكن يثق بالمرأة .. مطلقاً ! كان يريد من المرأة دائماً أن تعيش على هامش حياته .. وليس فى مكان الصدارة من حياته ، أو حتى داخل حياته . إننى سألته مرة كصديق : لماذا أراك تحس دائماً بفزع ضخم من فكرة الزواج كلما فرضت عليك الحياة هذا الموقف ؟

وكان فريد — رحمه الله — يجيب : نعم . أما الفزع فهذا صحيح .. أما الموقف الذى تفرضه على الحياة فهذا غير صحيح .. إننى كنت دائماً أختار عدم الزواج ..

لان القدر لم يضع فى طريقى أبداً المرأة التى أثق فيها ثقة كاملة ..

هل كان لهذا الشعور تأثير على فن فريد الأطرش ؟

إننى أقول : نعم !

فالفنان ، مهما كانت رغبته فى الفوضى والانطلاق والبوهيمية ، محتاج دائما إلى الشعور بالاستقرار العاطفى . والفنان محتاج دائماً إلى من تكون محل ثقته .. لأن هذا يعطيه فى النهاية شعوراً يؤكد ثقته بنفسه .

ولقد كان فريد واثقاً بنفسه ، ولكنه لم يجد من يثق فيه .. أو على الأصح ، من يثق فيها . ربما من أجل هذا كنا نجد الحزن طابعاً غالباً على معظم أعمال فريد الغنائية . بل إننى أقول أكثر من ذلك . فعلى المستوى الشخصى كان فريد الأطرش مقبلا على الحياة ، ومحبًّا لها ، ومتفائلا بها ..

وعلى المستوى الفنى كانت أغانى فريد تعكس شعوراً بالحزن .. هو فى حد ذاته شعور مضاد للشعور الأول .

أيهما كان الأصل . : وأيهما كان الصورة ؟

أيهما كان الحقيقة .. وأيهما كان الافتعال ؟

لا أحد يدرى بالضبط .. ولكن الذى أرويه هنا هو أن هذا التناقض قد أثر بدرجة ما على فن فريد الأطرش .. بمثل ما أثرت عليه تناقضات كثيرة أخرى فى حياته .. إنها أثرت على كل شىء فيه .. وفى النهاية أثرت على فنه .

إننى شخصيًّا أعتقد أن فريد كان يستطيع أن يعطى للفن أضعاف ما أعطى .. لو قدر له أن يجد فى حياته الناصح الأمين .. أو الصديق الوفى .. أو الشريك المخلص .

إنه نجح جدًّا ، بالرغم من هذا كله .. وكان سينجح أكثر وأكثر .. لو توفر له هذا كله ! إن فريداً الأطرش ، الفنان ، أعطانا فى موسيقاه الملامح الشرقية الأصيلة المتطورة .. التى تخلو من الرتابة .. ويبرز فيها الشعور بالإيقاع .. وتتميز فيها الجملة

الموسيقية بالوضوح والبساطة . إننا نستطيع أن نرى هذه الصفات كلها فى ألحان مثل « قهوة » لأسمهان .. أو « أنا واللى باحبه » .. و « الربيع » .. و « أول همسة » وغيرها كثير .. بصوته هو .

إن تلك الألحان كلها دليل على مدى شرقية موسيقى فريد الأطرش .. ومدى تمسكه هو بتلك الشرقية .

ولكن بعضهم يحلو له أن يسأل ، هل كان تمسك فريد الأطرش بالشرقية فى موسيقاه هو محاولة منه بالوقوف ضد التطور ؟

إننى أبادر وأقرر أن الإجابة هى بالنفى .

بل إننى أقول أكثر من ذلك .. إن فريداً الأطرش أعطى الموسيقى الشرقية أفكاراً جديـدة . . ومتطورة . . وممتـازة . . وجريئـة . . لم يعطهـا أى ملحن آخر معاصر له .

ربما من أجل هذا كان فريد الأطرش مرشحاً – أكثر من غيره – للخروج بالموسيقى الشرقية من آفاقها المحلية .. إلى المجال العالمى .

إن فريداً نفسه كان يفرح بذلك .. ولكنه لم يكن يعمل لذلك !

لقد كان يستطيع ، وكان يفعل ، وكان ينجح فعلا .. ولكن ، بعد قليل ، لا تلبث حياته اليومية ، وإقباله على حياته اليومية ، أن يمتصه من هذا كله .

إن فريد الأطرش – رحمه الله – كان يقول دائماً : نحن شرقيون .. ولنا طابع متميز فنيًّا وغنائيًّا وموسيقيًّا .. وإذا عرفنا كيف نخرج إلى العالم بطابعنا هذا فى موسيقانا .. فسوف يرحب بنا العالم ويفتح لنا ذراعيه .

ولقد خرج هو إلى العالم ، ورحبوا به .. وفتحوا له أذرعهم .

إن ألحاناً كثيرة وضعها فريد الأطرش ، وغناها ، أعيد توزيعها وغناؤها فى باريس وأماكن أخرى كثيرة .

وجمهوراً كبيراً كان ينتظر من فريد الأطرش أن يكمل هذه المحاولة . لأنه كان أكثر من غيره – هو المرشح للنجاح فيها .

ولكنه لم يفعل .

إن السبب هو – مرة أخرى – طبيعته هو . . وحياته هو . .

كان فريد فى حياته بسيطاً .. وتلقائيًّا .. وواضحاً .. وصريحاُ . إن صراحته كانت تصبح أحياناً قاتلة .. إلى درجة أن الصديق الحقيق له كان يهم فى كل مرة بمقاطعته لكى يحول بينه وبين أن يدلى هو برأيه صريحاً فى طرف آخر موجود أمامه . ولكن الصديق كان يفاجأ فى كل مرة بأنه قبل أن يفعل ذلك .. قبل أن يتدخل .. فإن فريداً نفسه يكون قد قال كل ما يريده ، وكل ما يحس ، بوضوح واختصار وبساطة .. ولكنها البساطة التى تكون فى أحيان كثيرة أسوأ من القتل !

وكان فريد فى حياته كريماً .. وبشوشاً .. ومضيافاً .

وفى كل مرة كنت أصل فيها إلى بيروت .. فإننى ، عند أول مكالمة تليفونية أجريها مع فريد الأطرش ، أفاجأ بترحيبه وحرارته وإصراره على أن يرى بعضنا بعضاً فوراً .

إننى لم أكن وحدى فى ذلك . . ولكن فريداً كان كذلك مع كل أصدقائه .

إنه كان يحيط نفسه بعشرات من الأصدقاء ، فى أى وقت من الليل أو النهار . وإذا تركت له نفسك فإنه يستطيع أن يملأ لك وقتك تماماً لمدة أربع وعشرين ساعة فى اليوم . إنه يرتب لك كل ساعة ، ويشغل لك كل ثانية .. وهو يفعل لك ذلك بغير افتعال .. وبغير ملل .. !

إن النجاح الأكبر لفريد الأطرش كان يتركز فى أنه نقل هذه البساطة ، وهذا الصدق ، إلى أعماله . . والتى انتقلت بدورها من أعماله . . إلى مستمعيه .

لهذا كانت شعبية فريد الأطرش .. ولهذا كان نجاحه .

لقد استطاع فريد الأطرش أن يساهم بحق ، وبشكل ملموس وواضح ، فى

تشكيل ذوق المجتمع العربى لسنوات طويلة مضت .. وسوف يستمر هذا التأثير قويًا لسنوات طويلة قادمة .

بقيت نقطة أخيرة تتعلق بفريد الأطرش ؛ . كمطرب .

إن كل فنان يستطيع أن يقرر فوراً أن صوت فريد الأطرش كان متميزاً تماماً بين كل من عاصروه من المطربين .

كان صوته معبراً وحساساً . . وشديد الاحتمال . . ومتنوع الطبقات . . ومسرحى الإطار . إنه كان من أكثر الأصوات صلاحية للاستغلال الفنى المسرحى .. وفريد نفسه .. قبل تدهور حالته الصحية .. كان من القلائل الذين يستطيعون الغناء على المسرح لمدة ساعتين وثلاث وأحياناً أربع ساعات .. وهو فى كل مرة قادراً على أن يجدد ويبتكر فى حدود اللحن الجديد الذى يقدمه . . أوحتى فى حدود لحن مستمر ومضت عليه عشرون أوخمس وعشرون سنة . . مثل لحن « أول همسة » . . أو « الربيع » . إنه كان قادرا على أن يعطى الجمهور إحساساً فى كل مرة بأنه يغنى له هذا اللحن لأول مرة .

ولقد كان فريد يحتفظ لنفسه بطابع خاص ومتميز فى أدائه . . حتى إن المستمع يحس بالألفة مع هذا الصوت وبالحب الشديد . . وإن الأذن العربية ظلت – وسوف تظل – سنوات طويلة تطرب تماما لهذا الصوت .

ربما من أجله لم تفشل أغنية لفريد الأطرش .

ولم يفشل لحن لفريد الأطرش . .

ولم يفشل فيلم لفريد الأطرش .

لقد كان فريد ناجحا دائماً . . والنجاح ليس ساذجاً كما قلت من قبل . . النجاح يعرف جيداً أن يختار من يستحق النجاح .

ولقد استحق فريد النجاح . . واستحق أيضا ما هو أكثر من النجاح .

وكم كنت أتمنى أن يطول العمر بفريد الأطرش . . لكى يعطينامزيداًمن الموهبة . . ومزيداً من النجاح . . ومزيداً من الأصالة . . ومزيداً من الفن .

بليغ حمدى



حبيب العمر

والسنوات الأخيرة من عمره

بقلم : محمد بديع سربية

عرف عن الكاتب اللبنانى المرموق الأستاذ محمد بديع سربية أنه كان من أبرز المقربين إلى قلب الموسيقار فريد الأطرش وحياته . .

ربما من أجل هذا كان الموسيقار الراحل قد اختاره قبل وفاته لكى يسجل قصة حياته ، وينشرها فى مجلته « الموعد » . . وهى المجلة التى يملكها وبرأس تحريرها .

وفى هذا الفصل لا يروى الأستاذ سربية فقط الذكريات التى سمعها من فريد الأطرش . . وإنما يروى أيضاً الذكريات التى عاشها معه . . فى بيروت وخارج بيروت .



كان يوم الخامس من حزيران « يونيو » ١٩٦٧ بداية تحول جديد فى حياة فريد الأطرش . .

فقد كان الموسيقار الراحل ، الذى اعتادت « الموعد » تسميته بـ « الموسيقار الحزين » عائداً من رحلة قام بها إلى الكويت ، وأراد أن يمضى فى بيروت ، وهو فى طريق عودته إلى القاهرة ، بضعة أيام كما اعتاد دائماً ، وشاءت الصدف أن يجد فى بيروت ، وفى فندن « البريستول » الذى اعتاد أن ينزل فيه كلما جاء إلى بيروت ، صديقه الحميم الموسيقار محمد عبد الوهاب وقرينته السيدة نهلة ، وهكذا ، بدلا من أن يمضى فريد إلى القاهرة سريعاً ، أطال إقامته أسبوعين ليتسنى له أن يبقى مع عبد الوهاب ونهلة أوقاتاً ممتعة يتوق دائماً إلى أن يقضيها معهما ! .

وخلال إقامته فى بيروت ، كنت ألتقى بفريد الأطرش كل ليلة ، وكثيراً ما كان يفتح قلبه لى ، لا ليحدثنى عن متاعبه الصحية فقط ، وإنما ليسرد لى سلسلة من المتاعب النفسية والعاطفية التى يتعرض لها ، ويتحملها بسعة الصدر لأنه غير قادر على مجابهتها كما كان يفعل فى أيام الشباب . وما كنت أسمعه من الموسيقار الراحل لم يكن جديداً على ، بل لقد كنت أسمع مثله على امتداد السنين والأيام ، مما جعلنى أتصور ، بل أتأكد ، من أن فريد الأطرش ، لكثرة إحساسه تتملكه عقدة الشعور بالاضطهاد ، وربما كان ذلك ناشئاً عن أيام العذاب التى مرت به فى طفولته ، وبداية حياته الفنية ،

خصوصاً فى الفترة التى عمل فيها كعازف على العود ، ثم كمطرب ، فى صالة الراقصة بديعة مصابنى ، وفى الحفلات والأفراح . .

ومرة روى لى فريد الأطرش أنه وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، عمل كعازف على العود فى فرقة المطرب إبراهيم حمودة ، الذى كان أشهر مطربى ذلك الزمان ، وفى إحدى المرات ذهب المطرب الشهير ليغنى فى حفلة ساهرة تقيمها إحدى أميرات الأسرة المالكة . ورحبت الأسرة بكل حماس بإبراهيم حمودة ، ثم التفتت إلى فرقته الموسيقية ، فما كاد نظرها يقع على فريد الأطرش وهو يحمل عوده ، حتى صاحت بإبراهيم حمودة :

– يا باى . الولد السلامى ده دمه تقيل . . خليه يطلع برة ، مش قادرة أشوفه . .

وارتبك إبراهيم حمودة ، ولم يدر ماذا يفعل ، هل يتخلى عن الشهامة ويستجيب لوقاحة الأميرة المجنونة ، أو يرفض طلبها ويعرض نفسه لانتقامها ، وقبل أن يأخذ قراراً كان فريد الأطرش نفسه يخرج من قصر الأميرة وينقذ موقف المطرب الكبير ! .

ومن الرواسب التى خلقت فى نفس الموسيقار الراحل عقدة الاضطهاد أيضًا أنــه عندما عمل فى صالة بديعة مصابنى ، كان يحس بالراقصة الكبيرة التى كانت يومها صاحبة نفوذ كبير فى الأوساط الراقية تعامله حسب ارتفاع أو انخفاض « ترمومتر » مصلحتها ، فإذا صفق الجمهور له فى ليلة كانت تحسن معاملته ، وتدعوه إلى مائدتها ، وتغدق عليه التكريم ، وإذا لم يصفق له الساهرون السكارى فى ليلة ثانية أشاحت عنه بوجهها ، وراحت تعامله بقسوة بالغة !

ولقد كبر الشعور بالاضطهاد فى نفس فريد الأطرش ، مع اتساع شهرته وتألق نجمه ، وصعود اسمه إلى القمم الفنية والعالمية ، ولهذا كان دائم الشكوى من عدم التقدير الذى يلقاه من بعض الأوساط الصحفية والرسمية أو من المؤامرات التى تحاك ضده من جانب بعض الفنانين ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يشعر بالتعويض عن هذا الاضطهاد ،

بما يلقاه من تقدير وتكريم وحب من جانب الجماهير المصرية ! .

وفى إحدى الليالى ، كنا فى أحد زوايا صالون « البريستول » فى بيروت وكان يستعد للعودة إلى القاهرة ، قال لى فريد الأطرش :

– لقد وقفت معى موقفًا كريماً ، عندما هاجمت الذين هزءوا بى فى إحدى المجلات ، ورسمونى كاريكاتيراً بصورة « حمار شهاب الدين » ، وكان للمقال الذى كتبته عنى وقعه الحسن عند المنصفين وأولاد الحلال . وأحب أن أصارحك الآن بأننى مع كل حبى لمصر فأنا أشعر بأن أيديًا خفية كثيرة تحاربنى فى الوسط الفنى ! .

وقلت له :

– يا أخى فريد ، لا أريد لك أن تضخم الأمور ، وترى فى كل بادرة عدائية تحاك من شخص ما ، صورة مؤامرة عليك . ثم إنك فنان كبير تجاوزت شهرتك الآفاق المحلية ، ووصلت إلى الآفاق العالمية ، ولم يعد هناك من مبرر لك للاهتمام بالأمور الصغيرة ..

وارتسم الأسى على وجه الموسيقار الراحل ، وقال لى :

« حتى لا تعتقد أننى أبالغ اسمع هذه القصة ، إن الإنتاج السينمائى اليوم هو فى أيدى مؤسسة تتبع القطاع العام « كان ذلك فى ربيع ١٩٦٧ » وقد استدعانى مسئول كبير فى المؤسسة ليبحث معى فى موضوع إنتاج فيلم لحساب المؤسسة أكون أنا البطل الأول فيه ، وعندما سألنى عن الأجر الذى أطلبه مقابل تمثيل دور البطولة فى هذا الفيلم ، قلت له إننى لا أطلب إلا الأجر الذى أتقاضاه عادة عندما أمثل أى فيلم ، وهو خمسة وعشرون ألف جنيه .. فهل تعلم ماذا كان رده على ؟ !

سألته :

– ماذا ؟ ! .. وافق طبعاً .. لأن هذا هو أجرك الفعلى من كل فيلم تمثله .. وعاد الأسى يرتسم على وجه الموسيقار الحزين وقال :

– أبداً ، إن وجه سيادة المسئول فى المؤسسة تجهم فجأة عندما سمع هذا الرقم ، وقال لى بلهجة ساخرة : أمال ليه أنا درست وخدت الدكتوراه .. مش أحسن كنت أعمل مغنى زيك .. وآخد المبلغ الكبير ده عن كل فيلم ..

وقلت محاولا تهدئة فريد الأطرش :

– ربما كان يمازحك ؟ !

أجاب :

أبداً . وقد اضطررت إلى الرد عليه بقوة ، وقلت له إن يوسع أى إنسان أن يكون دكتوراً فى الاقتصاد .. ولكن مش أى واحد يقدر يكون فنان مشهور .. وموهوب ! ! ومن يومها لم تعد مؤسسة السينما تتعامل معى . كما لم يعد بوسعى أن أنتج أفلاماً لحسابى . . وهكذا ترى أنى عاطل عن العمل ! .

وبالرغم من المرارة التى كانت تمتزج بكلمات فريد الأطرش ، فلم يكن قادرًا على إخفاء لهفته للعودة سريعاً إلى القاهرة ، بالرغم من أنه لم يكن مرتبطاً هناك بأى عمل فنى ، وكنت أعلم أن وراء هذه اللهفة حبًّا جديداً قد اشتعل فى قلبه ، هو حبه للنجمة الشابة سميرة أحمد التى التقى بها أمام الكاميرا فى فيلم « شاطئ الحب » ومن يومها أسرته بشخصيتها الجذابة ، ورقتها ، وبعدها عن السطحية ، وأحس بأنه أمام امرأة تختلف عن كل النساء اللواتى عرفهن فى حياته ! .

وفى بادئ الأمر أخذ فريد الأطرش يسعى إلى إقامة صداقة مع النجمة الناعمة بعيداً عن جو العمل ، فأخذ يدعوها إلى سهراته اليومية فى صالون بيته الذى كان ملتقى كل الأصدقاء والصديقات ، ولاحظ الجميع أن الموسيقار الذى ظل فترة طويلة بلا حب ، يبالغ فى رعاية سميرة أحمد والاهتمام بها ، وكان يجلس إلى المائدة ، ويعلمها قواعد لعبة « الكومى » ، ويضحك من قلبه عندما تسأله وبراءة الأطفال فى عينيها :

– اديله « باصلا » يا فريد ؟ ! « أى : هل أعطيه باصره يا فريد » !

وبالرغم من أن فريد الأطرش كان يحب أكثر ما يحب النساء القادرات على مشاركته السهر حتى مطلع الفجر لأنه يكره النوم مبكراً ، فإن قلبه لم يتحول أبداً عن سميرة أحمد التى كانت تستأذن بالانصراف إلى بيتها بمجرد أن تقف عقارب الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل ! .

وذات ليلة لم يطق الموسيقار العاشق الاستمرار فى كتمان عواطفه فأخذ سميرة أحمد من يدها إلى الصالون الشرقى فى بيته وقال لها :

« سميرة ! ! أريد أن أعترف لك .. لقد أحببتك من كل قلبي .. وأنت الوحيدة التى استطعت أن تمحى من ذاكرتى صورة النساء اللواتى عرفتهن فى حياتى ..

وابتسمت النجمة الناعمة وقالت :

– وتأكد أن هذا الحب ليس من طرف واحد ..

وهتف بفرح :

– يعنى ايه ؟ ! أنت كمان ؟ ؟

وهزت رأسها علامة الإيجاب .. ولكن فريد الأطرش توقف عند هذا الحد فى حديثه وفهمت سميرة أحمد من سكوته بأنه يريدها عشيقة له وليست زوجة ، وهى ما اعتادت أن تكون عشيقة لأحد ، ولا تفهم أن للحب نهاية غير النهاية الطبيعية التى هى الزواج ، ومن هنا ، وعندما فهمت الحقيقة ، بدأت تقلل من زيارتها له .. وكلما ابتعدت زادت نار الحب فى قلبه اشتعالا ! .

وفى هذه الأثناء ، اضطرته أعماله للسفر إلى الخارج ، فأرسل لها سيارة « سبور » أنيقة ، وثلاثة حقائب كبيرة تحتوى على أغلى الملابس ، وأنواعاً مختلفة من أدوات الزينة ، وعندما اتصل بها مكتب فريد الأطرش ليبلغها عن السيارة والحقائب ، ويطلب إليها تسلمها كهدية منه ، كان ردها أنها تعتذر عن عدم قبولها !

وعندما اتصل بها صديق مقرب من فريد الأطرش ، وسألها عن سبب رفضها للهدية ، كان جوابها :

– أرجو أن يفهم الأستاذ فريد أن حبى له مهما بلغت درجته ، فإنه لن يدفعنى إلى القبول بأن أكون عشيقته . . وإذا كان يحبنى فعلا ، ويريد الارتباط ، فأنا لا أرى أمامه وأمامى إلا رابطة . . الزواج !

وبلغت الأخبار فريد وهو فى الخارج ، فتألم لأن سميرة أحمد رفضت هداياه ، ولكنه لم يغضب لوضعها شرط الزواج لكى يستمر الحب بينه وبينها ، وإنما تضاعف حبه لها أكثر وأكثر ، وكان فى شوق ملح للعودة إلى مصر ، واللقاء بها والتفاهم معها .. ولا أحد يدرى ماذا كان يدور فى ذهن فريد الأطرش وهو يستعد للعودة إلى مصر . هل كان يوافق على الزواج من سميرة أحمد ، أو أنه سيقطع علاقته بها ؟ ! أو يحاول إقناعها بأنه إنسان خلق للحب ولم يخلق للزواج ! .

وحدد فريد الأطرش لى موعد سفره .. وتواعدنا على اللقاء فى صباح يوم السفر لأودعه وأسمع المزيد من أخباره وحكاياته ..

وفى الصباح ، كان فريد الأطرش فى غرفته بفندق « البريستول » يعد حقائبه للسفر ، وقبل لحظات من انطلاقه نحو مطار بيروت ، رن جرس التليفون فى غرفته ، وتلقفت أذنا فريد باستغراب صوت الموسيقار محمد عبد الوهاب ، وكان سبب الاستغراب هو أن عبد الوهاب ودعه بالأمس ، ولم يتعود أن يصحو مبكراً ! .

وقال عبد الوهاب :

– فريد .. أنت مش حتسافر يا حبيبى ..

وصرخ فريد الأطرش :

– ليه ؟ ! خير إن شاء الله يا أستاذ ! .

قال عبد الوهاب بصوت يمتزج بالاضطراب :

– الحرب قامت يا فريد .. إسرائيل بدأت بالعدوان على مصر . والمطارات أقفلت ! .

وجمد فريد الأطرش فى مكانه .. وعاد يفك حقائبه ..

كان ذلك اليوم هو يوم الخامس من حزيران « يونيو » ١٩٦٧ ..

ومن ذلك اليوم بدأ التحول الجديد فى حياة الموسيقار الراحل .

لقد قرر فريد أن يقيم فى بيروت مؤقتاً .. ولكن الظروف جعلت من « مؤقتا » هذه شيئاً دائماً . لقد بدأت تصبح لديه ارتباطات عمل مستمرة . . كان على رأسها عمله فى فيلمه الجديد مع السيدة فاتن حمامه .

فما إن أطلت النجمة فاتن حمامة على مطار بيروت ، حتى وجدت الموسيقار فريداً الأطرش بانتظارها وفى يده باقة من الورد قدمها لها ترحيباً بها ، وتعبيراً عن امتنانه لها بعد أن رضيت أن تخرج من عزلتها السينمائية التى طالت ثلاث سنوات لكى تمثل دور البطولة فى فيلمه « الحب الكبير » ، وكانت من قبل قد مثلت معه فى مصر فيلم « لحن الخلود » الذى هو قمة أفلامه السينمائية ، فضلا عن فيلم آخر هو « من غير وداع » ..

وقد حرص فريد الأطرش على أن يأخذ رأى فاتن حمامة فى كل شاردة وواردة تتعلق بفيلم « الحب الكبير » لأنه كان شديد الإعجاب بكل رأى تبديه ، ويعرف أن الممثلة الكبيرة عندما تمثل أى فيلم ، فهى لا تكتفى بأن تقوم بالدور المطلوب منها فى الفيلم وخلاص ، بل تحاول أن تعطى كل خبراتها من أجل أن يتحقق النجاح الفنى الكامل لهذا الفيلم ..

وقبل أن تبدأ فاتن مع فريد الأطرش رحلة العمل فى الفيلم قال لها :

– أولا ، أحب أن أستشيرك بشأن الممثلين الذين سيعملون معنا فى الفيلم . ايه رأيك بصديقى العزيز عبد السلام النابلسى ؟ ؟

وضحكت فاتن وقالت :

– وهوه معقول فريد الأطرش يمثل فيلم وما يكونش معاه عبد السلام النابلسي ..

وكانت النجمة الكبيرة على حق فيما تقوله ، فإن صداقة فريد الأطرش وعبد السلام النابلسي كانت مضرب الأمثال ، فقد كان من النادر أن تدخل بيت فريد الأطرش ظهراً أو مساء ، فى بيروت أو فى القاهرة ، ولا تجد فيه عبد السلام النابلسى ، ومن أبرز الأحداث فى حياة الصديقين أنهما فى العام ١٩٥٠ ، نالا الجنسية المصرية فى يوم واحد ، وكانت هذه أكبر مفاجأة فى حياتهما ، بعد أن أقاما فى مصر زهاء عشرين عاماً دون أن يحملا جنسية البلد الذى اختارا البقاء فيه ... وأعطاهما الكثير من المجد والتألق ، مما لم يكن يتوفر لهما لو أن كلا منهما بقى فى بلده ..

وعندما أقام فريد الأطرش فى بيروت بصفة دائمة وكان يتردد عليها مرة أو مرتين فى السنة فإنه لم يكن يفارق صديقه الحميم عبد السلام النابلسى الذى كان قد سبقه إلى الإقامة فى بيروت ، واشترى شقة فى عمارة « يعقوبيان » وكان فريد كلما دعى إلى حفله أو سهره ، يشترط أن يكون عبد السلام فى مقدمة المدعوين ، وكل يوم ، عندما كانت تخطر لفريد الأطرش أية أكلة شهية كان يتصل بصديقه الحميم على الفوركى يعد له هذه الأكله لأنه سوف يجيء لتناول الغداء عنده ، وكان عبد السلام والشهادة لله ، طباخاً ماهراً ، وسخيًّا على مائدته ومضيافاً من الطراز الأول ..

ولقد اتفق فريد الأطرش وعبد السلام النابلسى طوال عشرتهما على أشياء كثيرة ، والأمر الوحيد الذى كان يختلف فيه الصديقان هو أن فريد الأطرش لم يكن يهتم بصحته ، برغم أنه مصاب بثلاث ذبحات قلبية ، ويفرط فى السهر والتعب واللعب لأنه كان يؤمن بأن العمر واحد والرب واحد ، أما عبد السلام النابلسى فكان على عكسه تماماً ، يخاف على صحته ، ويرتعش خوفاً من أى عارض صحى ، ولا يتحرك إلى أى مكان إلا وتحت إبطه صيدلية متنقلة . . .

وكانت فاتن حمامة تعلم أن بين فريد الأطرش وعبد السلام النابلسى صداقة روحية عميقة ، ولذلك لم تتردد فى الموافقة على أن يكون عبد السلام من نجوم « الحب الكبير » خصوصاً وهى تعلم أنه يضفى على أى فيلم يمثله جوًّا من المرح ..

وعاد فريد الأطرش يسأل فاتن حمامة :

– ويوسف وهبى .. ما رأيك به ؟ ! إنه سيمثل دور والدك فى الفيلم .. وردت فاتن حمامة فورا :

– يوسف وهبى ! ! إنه أستاذنا جميعاً ..

ويبقى هناك دور يحتاج إلى من تمثله فى الفيلم ، وهو دور السيدة الارستقراطية المستهترة التى تحاول أن تلعب بقلب بطل الفيلم « فريد الأطرش » وتبعده عن حبيبته « فاتن حمامة » .. وقال فريد :

– حتى الآن لم أجد فى بيروت واحدة تصلح لهذا الدور . لقد تعرفت بملكة جمال اسمها غلاديس أبو جوده « اسمها الفنى الآن حبيبه » ... ولكننى رأيت أنها لا تصلح لدور المرأة المستهترة ، فهى ناعمة ، ورقيقة ، وبريئة الوجه ..

وضحك وقال :

وأخاف أن أقع فى غرامها فعلا ..

وردت فاتن حمامه على فريد الأطرش قائلة :

– لا يا خويا .. احنا عاوزينك المرة دى تشتغل من غير حب ..

ورد الموسيقار الراحل قائلا :

وحياتك أنا خلاص ، بطلت الحب .. وحتى لما قعدت فى بيروت نسيت آخر حب لى فى مصر ..

وسألته فاتن بخبث :

– يا ترى مع مين كان الحب يا فيرى ؟ !

وبالصراحة التى تعودها ، أجاب فريد :

– مع سميرة أحمد .. لكن وشرفى ما حصلش أى علاقة بيننا ، مجرد حب انتهى بعدما قعدت أنا فى بيروت ..

وقالت فاتن :

اسمع يا فريد أنا رأيى أننا ندور على بنت جديدة ولبنانية وتمثل الدور ده .. ايه رأيك ؟

وهز رأسه بالموافقة ..

وبدأت العيون تبحث هنا وهناك عن سيدة لبنانية تصلح لأن تمثل الدور الثانى فى فيلم « الحب الكبير » وتم العثور عليها أخيراً ، وكانت السيدة ليز سركيسيان ، وهى زوجة أحد رجال الأعمال ، ومن محاسن الصدف أنها كانت ممثلة .. وأنها برغم زواجها لم تستطع أن تتخلى عن هواية التمثيل ، فلما سنحت لها فرصة الظهور على الشاشة السينمائية ومع من ؟ ! مع فريد الأطرش ، وفاتن حمامة ، وعبد السلام النابلسى ، ويوسف وهبى ، لم تتردد فى الموافقة ولو أدى ذلك إلى أن ترقص حياتها الزوجية على كف عفريت .. وهذا ما حدث فعلا بعد سنوات ! .

« على بركة الله .. نبدأ التصوير بعد أسبوع » ..

قالتها فاتن حمامة ..

ولكن فريداً الأطرش لم يدعها تكمل كلامها ، فقال :

– اسمحى لى أولاً أن أدعوك إلى حفلة أقيمها تكريماً لك . .

وأجابته فاتن :

– حفلة إيه ؟ هوه فى بيننا مجاملات يا فريد ؟

وأجاب الموسيقار الخالد ·

– يا ستى ده واجب على ... ثم أنا حاكون سعيد جداً ، لأن الحفلة التى سأقيمها

تكريماً لك ، سوف تكون أول حفلة أقيمها فى بيتى الجديد الذى لم أسكن فيه إلا من مدة قريبة ! .

وكان فريد الأطرش قد ضاق فعلا بالإقامة فى الفنادق ، وخصوصاً بعد أن قرر إطالة إقامته فى بيروت ، فاستأجر شقة كبيرة . . فى « روف » عمارة أنيقة جديدة ، هى عمارة مدام أغيديان ، فى محلة « اللويزة » التى لا تبعد عن قلب العاصمة أكثر من خمس دقائق بالسيارة وكلف صديقه المهندس أغوب أصلانيان بعمل الديكورات لها ، وفعلا ، جاءت الشقة أنيقة وفخمة ، لا سيما بعد أن زينها فريد الأطرش بالمفروشات والتحف الثمينة ، وكانت الشقة مؤلفة من صالون كبير ، وملحق به صالون صغير ، وغرفة مائدة ، وغرفة نوم كبيرة للموسيقار الراحل ، وغرفة للتليفزيون ، وصالون شرقى ، وغرفتان للضيوف ، فضلا عن المطبخ ، والشرفة الكبيرة المطلة على بيروت من فوق ..

وفى هذه الشقة بالذات كان يقضى الموسيقار الراحل أكثر أوقاته ، ويقيم كل حفلاته ، وأحياناً كان يستغلها فى تصوير المشاهد الداخلية فى أفلامه ، أو يجرى فيها البروفات على أغانيه الجديدة ، أو الأغانى التى سيقدمها فى حفلات المسرحية ..

وقال فريد الأطرش لفاتن حمامة إنه سيكون فى منتهى السعادة بأن « يدشن » شقته ويبدأ حياته الاجتماعية فيها بحفلة يقيمها على شرف فاتن ، التى كان وجهها خيراً عليه فى كل فيلم ..

وقبلت النجمة الكبيرة الدعوة إلى الحفلة التى أخذ فريد الأطرش يهتم بتنظيمها واختيار المدعوين إليها ، وفعلا ، كانت الحفلة لذيذة ممتعة ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تدخل فيها السيدة سلوى القدسى وزوجها نور الدين القدسى ، إلى منزل فريد الأطرش ، وكانت فى الشهور الأخيرة تلتقى به فى مناسبات عادية ، أو تراه فى كازينو لبنان ، عندما كان يذهب مع شلته مساء كل سبت ، وتذهب هى مع زوجها ، إلى هناك ! .

فريد الأطرش كان ليلتها شعلة من المرح والحيوية ، وبلغ القمة فى خفة الدم ، وقال لمدعويه إنه تخيل نفسه امرأة ، وأخذ يمثل ، بمنتهى الظروف كيف يتحرك ، ويتكلم ويغازل ، لو كان امرأة ، ثم أكمل برنامج الضحك الذى أراد أن يسلى به مدعويه ، فروى لهم أكثر من نكتة ، واستلقت فاتن حمامة على ظهرها من شدة الضحك ، عندما روى لها نكتة عن نفسه ! .

قال فريد إن أحد المعجبين كان يتصل به باستمرار ، ويطلب إليه أن يكلمه ، فتجيبه الشغالة سنية :

– والله الأستاذ مش قادر يكلمك .. لأنه فى الحمام ! .

وعندما تكررت اتصالات المعجب ، وفى كل مرة يتلقى الجواب نفسه وهو أن « الأستاذ » فى الحمام ، صرخ فى سنية :

– هو الأستاذ وسخ للدرجة دى علشان يبق فى الحمام ؟ ؟ .

وعلق فريد على النكتة ، واعترف للساهرين بأنه عندما يدخل الحمام لا يغسل جسده بالماء ، بل بالسبيرتو فقط ، وقال : وتفضلوا شوفو أنا نضيف إزاى ؟ !

سهرة ولا ألطف ولا أمتع ..

وليلتها فقط كانت سلوى القدسى ترى فريداً الأطرش عن قرب ، وتكتشف ما عنده من مزايا لم تكن لتعرفها من قبل فى اللقاءات العابرة التى جمعت بينهما ..

وليلتها أيضًا ، لفتت سلوى القدسى اهتمام فريد الأطرش ، بحلاوتها ، وأناقتها ، وجلستها ، ووجهها الضاحك دائماً ..

وعندما انصرف الساهرون من سهرة فريد الأطرش التى طالت إلى ما بعد منتصف الليل ، بقيت فى خيال الموسيقار الراحل صورة حلوة ، سلوى القدسى التى وجدت نفسها أيضًا تفكر بفريد الأطرش كثيراً ..

وطلع الصباح على سلوى وهى ما زالت تفكر ..

ومن هنا كانت .. البداية !

اعتاد الموسيقار فريد الأطرش الحياة فى بيروت ، بعد أن استقر فى بيته الأنيق فى « اللويزة » ووجد أنه قادر على أن يمارس فى بيروت النشاط الفنى الذى كان يمارسه فى القاهرة ..

ولعل أكثر ما جعل فريداً الأطرش يحس بالاطمئنان هو أنه كان يجد فى بيروت من التقدير والحب ما يلقاه فى القاهرة ، وكان فيلم « الحب الكبير » هو الذى جعله يطمئن أكثر فأكثر إلى أنه يستطيع فى لبنان أن يمارس نشاطه الفنى ، ويكسب كثيراً من هذا النشاط أى أن بيروت أصبحت بالنسبة له ميدان عمل جديد ، وليس مجرد بلد يقصده للتسلية والترفيه والسياحة ..

إن فيلم « الحب الكبير » الذى مثله الموسيقار الراحل وأنتجه على حسابه قد حقق نجاحاً شعبياً يفوق التصور ، كما در على فريد الأطرش أرباحاً جيدة لا تقل عن الأرباح التى آلت إليه من جميع أفلامه السابقة ، وإن كان قد اكتشف خلال عمله فيه أنه ليس قادراً على حمل مسئوليات الإنتاج ، مما جعله يقتنع بأن من الأفضل له أن تكون الأفلام التى يمثلها من إنتاج سواه ، وأن يبقى هو فى نطاق عمله الفنى فقط ، فيمثل ويغنى ويلحن ويتقاضى أجره الذى لا يقل عن مائة وخمسين ألف ليرة لبنانية ، وليهنأ من ينتج الفيلم بالأرباح التى تدخل إلى جيبه ، وهى لا تقل عن ضعف هذا المبلغ ..

وكانت مشكلة فريد الأطرش الوحيدة فى بيروت هى أن يجد شلة من الأصدقاء يرتاح إليها ، ويعيش معها ، وتعيش معه ولا تفارقه أبداً كما كان حاله وهو فى القاهرة ، ومن هذه الناحية فإن الموسيقار الراحل كان يحب ويفضل أن يكون له فريق من الأصدقاء لا يبتعد عنهم أبداً ، وبالرغم من أنه فنان مشهور ، وإنسان كبير ورجل يتميز بكل الصفات التى يمكن أن تجعل منه نجماً مشهوراً ، فإنه كان يبتعد عن الاختلاط بالمجتمعات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرته المجاملة

إلى حضور أية حفلة ، فإنه كان يشعر بالاختناق ، ويسارع إلى اختصار وجوده فيها والعودة إلى شلة الأصدقاء التى لا يمل عن مجالستها وعشرتها أبداً ..

وذات يوم اضطر الموسيقار الراحل إلى حضور حفلة اجتماعية كانت تقام على شرف السيد كمال الأسعد ، رئيس مجلس النواب فى لبنان ، وفى منتصف السهرة ، سأله الرئيس الأسعد قائلا :

– يا أستاذ فريد ، نحن معجبون بك كثيراً ، فهل يمكن أن تسمعنا شيئًا من أغانيك هذه الليلة ..

وشعر فريد الأطرش بالإحراج أمام هذا الطلب ، ولكنه مع ذلك رد على الرئيس كامل الأسعد معتذراً له بأن حالته الصحية لا تسمح له بأن يغنى ، ثم ، بدون أن يشعر به أحد ، خرج من السهرة وعاد إلى بيته ، وقال لى ونحن معًا فى السيارة .

– هل عرفت الآن لماذا لا أحب حضور الحفلات الاجتماعية ، إنهم يريدوننى أن أغنى ، وربما كان ذلك دليلا على حبهم وتقديرهم لى ، ولست أستطيع فى كل سهرة أن أقف لألقى خطاباً أقول فيه إننى متعب صحيًّا ، وإن الغناء فى سهرة خاصة وبدون فرقة موسيقية ليس عملا هينًا بالنسبة لى ، ولذلك ترانى أتجنب الحفلات والسهرات العامة ، ولا أستريح إلا مع الناس الذين ينسون أننى فنان ، ويعاشروننى كصديق وإنسان عادى ..

وفى ذلك الحين كان فريد قد اختار مجموعة الأصدقاء والصديقات التى لا يخرج من نطاقها أبداً ، وكان منهم صهره الوجيه رياض جنبلاط ، وقرينته السيدة كاميليا الأطرش ، ابنة المرحومة أسمهان ، والفنان عبد السلام النابلسى – رحمه الله – وزوجته جورجيت ، ومنتج الأسطوانات روبير خياط ، وغيرهم من الذين لم يكن عددهم يزيد على عدد أصابع اليد ، وكان فريد الأطرش يستقبل بين الحين والآخر الأصدقاء والصديقات من أهل الفن الذين يفدون إليه باستمرار من القاهرة ، فيرحب بهم بحرارة

ويدعوهم إلى العشاء فى بيته ، أو إلى الغداء فى فندق « البريستول » الذى كان مقرًّا له ظهر كل يوم ، يلتقى فيه بالناس الذين بينه وبينهم مواعيد عمل ، ولا يريد لهم أن يتعبوا أنفسهم فى الذهاب نهاراً إلى بيته البعيد زهاء عشرة كيلو مترات عن بيروت ! .

وعلى الرغم من أن الموسيقار الراحل كان قد استقر فى بيروت تماما ، وصار يذهب منها فى رحلاته السنوية إلى أوربا ثم يعود إليها ، فقد كان يلازمه الشعور دائماً بأن إقامته فى بيروت هى إقامة مؤقتة ، وأنه لا بد أن يعود إلى مقر إقامته الطبيعى فى القاهرة . .

والذين كانوا يسألونه عن سبب هجرته من مصر ، كان يجيبهم دائماً :

– ياناس ، أنا لم أهجر مصر ، أنا فقط أوزع إقامتى بين بيروت والقاهرة ، وأنا دائماً أوصى علنًا بأن أدفن فى مصر ، إلى جوار أختى أسمهان ، فيما لو مت وأنا بعيد عن مصر . .

ويسألونه :

– ولكنك منذ حرب ١٩٦٧ لم تعد إلى مصر أبداً . .

فيجيب :

– لم أذهب إلى مصر هذا صحيح . ولكن بيتى فى القاهرة ما زال مفتوحاً ، ثم ، أنا مريض ، والمناخ فى لبنان يلائمنى أكثر ، ومجالات العمل الفنى أجدها هنا ولا أجدها هناك ، بعد أن أصبح الإنتاج السينمائى فى يد الدولة ، فضلا عن أننى أقدم للإذاعة كل أغنياتى بلا مقابل . .

ويسكت فريد الأطرش عند هذا الحد ولا يطيل الحديث فى هذا الموضوع ولكنه يعود ليهمس بأنه عاتب على الفنانين والمسئولين الذين لا يقدرونه كما يجب ، ويروى أنه أراد ذات يوم أن يسافر من القاهرة إلى بيروت لزيارة أمه المريضة ، ثم للذهاب

إلى طبيبه الخاص الدكتور جيبسون فى لندن ، فظل أكثر من شهر يحاول الحصول على تأشيرة خروج دون جدوى ، إلى أن عرف بذلك صديقه الشاعر المرحوم كامل الشناوى ، فأوصل شكوى فريد بواسطة الصحفى الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر الذى أمر بإعطاء تأشيرة الخروج فوراً لفريد الأطرش . .

ومضى الموسيقار الراحل يعيش أيامه ولياليه فى بيروت بين الأصدقاء والصديقات ، ويحاول دائماً ألا تفوته ساعة واحدة دون الاستمتاع بحياته ، وكانت صدمته بوفاة صديقه الراحل عبد السلام النابلسى ، قاسية وعنيفة ولكنه تحملها بالصبر ، وتغلب على أحزانه وآلامه ، وكان يجد العزاء دائماً فى القلوب المحبة التى تحيط به من كل جانب . .

ويوماً ، فى نيسيان « أبريل » ١٩٦٩ انفجرت فى بيروت اضطرابات سياسية شعبية أدت إلى إعلان قرار منع التجول كل يوم من السادسة مساء وحتى السابعة صباحاً فى العاصمة اللبنانية وضواحيها ، وفوجئ الموسيقار بأن معظم أصدقائه ليس بوسعهم الوصول إلى بيته أو زيارته فى الليل ، وكان معنى هذا أن يقضى الليل وحده فى البيت — وهو أقسى ما يمكن أن يحكم به عليه . .

وأكثر ما كان يقلق فريد الأطرش ويعذبه هو أن يقضى الليل وحيداً ، بلا ناس ، بلا تسلية ، بلا أصدقاء يظلون معه إلى أن يطلع النهار ، ويصبح باستطاعته أن يأوى إلى فراشه بعد أن يكون قد تناول الأقراص المهدئة التى تمكنه من النوم . .

الوحدة كانت تعذب الموسيقار الراحل . .

كان يقول لى : بين أصدقائى وأحبابى أنسى آلامى وهمومى ، ولكن عندما أكون وحدى ، أصبح نهبًا للأفكار السوداء ، ويمر فى مخيلتى كل ما أعانيه ، ويتملكنى القلق ... وأتصور أشياء وأشياء .. لا أتمكن معها من الاستسلام للرقاد . .

وما دام يكره الوحدة ، ولا يستطيع النوم مبكراً ، فماذا يفعل فريد الأطرش

والأصدقاء كلهم خافوا مما يحدث فى الشارع ، فلم يخرجوا من بيتهم ، ومعظمهم لا يجرؤ على مخالفة قرار منع التجول والخروج من بيته ! .

ومرة قال لى : إيه الحل ؟ ؟

وأجبته : الحل هو أن تخرج أنت وتذهب إلى بيوت الأصدقاء ، فأنت فنان مشهور ومحبوب ، ولا أظن أن أحداً سوف يعترضك أو يمنعك من التجول ...

وقال لى : ده صحيح .. ولكنى أحب التغيير ، أريد أن يجىء الأصدقاء إلى كما أذهب أنا إليهم ..

وفكرت لحظة ، ثم قلت له :

– اطمئن .. سوف أوفر للأصدقاء الذين تريدهم بطاقات تجول ، تسهل لهم الانتقال من بيوتهم للسهر معك ..

وفعلا ، وزعت البطاقات المطلوبة على عدد محدود من الأصدقاء ، كان بينهم نور الدين القدسى وقرينته سلوى ، وعلى امتداد ثلاثة أسابيع هى المدة التى فرض فيها منع التجول ، كان فريد الأطرش يقضى لياليه مع هذه المجموعة القليلة من الأصدقاء .

وقبل أيام من انتهاء منع التجال قال لهم :

– اسمعوا .. لقد هجرت كل أصدقائى ، وشعرت بالارتياح إليكم ، حذار أن تغدروا بى بعد انتهاء منع التجول وتنصرفوا عنى .. إننى لا أستطيع أن أعيش بلا أصدقاء..

وضحك الجميع وقالوا بصوت واحد :

– وهل يمكن لأحد أن يرفض صداقة إنسان رائع مثل فريد الأطرش ..

وفجأة ، التفت الموسيقار إلى ... ، وإلى نور الدين وسلوى القدسى ، وقال :

– اسمعوا .. بعد مدة سوف أسافر إلى أوربا .. إيه رأيكم نكون كلنا مع بعض ؟ ؟ . يا سلام وتبقى رحلة هايلة . !

واتفق الأصدقاء على الرحلة . . . وبقى على فريد الأطرش أن يحدد موعدها ! .

ولم يتحدد الموعد . .

ولم تبدأ الرحلة . .

لأن فريد بدأ رحلة أخرى . . رحلة الموت . رحمه الله .

محمد بديع سربية



فريد ..
فنان الابتكار ..

بقلم : محمد الموجي

كان هو المذياع الوحيد فى قريتنا .... !

إنه المذياع الذى يملكه ناظر الزراعة فى قرية « دمرو » مركز المحلة الكبرى .. وهى القرية التى ولدت فيها .. وشببت بين حقولها .. وعرفت الغناء والموسيقى من خلال الرادبو الوحيد فيها .

وفى إحدى المرات ، وكان عمرى حوالى الثالثة عشرة .. التقطت أذناى أغنية من مذياع ناظر الزراعة .. كانت هى الأغنية التى عرفتنى بفريد الأطرش لأول مرة .

إنها الأغنية التى يقول فيها ..

كرهت حبك .. من كتر صدك .. وكرهت فيكى كتر الدلال ..

على ايه أحبك .. والا أودك .. مش عايز اشوفك ولا فى الخيال .

كانت تلك الأغنية من تلحين الموسيقار مدحت عاصم .. وكما هى العادة مع معظم أغانى فريد الأطرش .. فإننى أحببتها وحفظتها ورددتها من أول مرة !

ومن يومها بدأت علاقتى بفريد الأطرش !

وبالإضافة إلى الغناء والموسيقى .. كانت هناك روابط إضافية تجمعنى ، وأنا الصبى الصغير بالموسيقار والمطرب المشهور فريد الأطرش .

كنت أهوى الرسم ... إلى جانب الغناء والموسيقى .. وكان فريد وقتها موضوعاً جذاباً ومغرياً للرسامين الصحفيين .. وخصوصاً رسامى الكاريكاتير .. إننى أذكر هنا بالذات

مجلة البعكوكة التى كانت شعبية ومشهورة وقتها .

وكلما رسمت المجلة صورة فريد الأطرش على غلافها .. كنت أجد نفسى وأنا أحاول تقليد تلك الرسوم لشخصية أحبها .. ضاغطاً فى كل مرة على السمات المميزة لفريد الأطرش .. بوجهه المستطيل وحواجبه الكثيفة وتسريحته وتعبير الحزن البسيط والدائم .

ولم يكن الحزن سمة شخصية فقط بالنسبة لفريد . . ولكنه كان سمة فنية أيضاً .

كان الحزن فى صوته يخاطب شيئاً دفينًا فى داخلى . لقد كنت منعزلا وانطوائيًا بطبيعتى ... وكنت أحس أن هناك نوعاً من العشرة بينى وبين صوت فريد الأطرش .

وحتى حينما كان فريد يلحن لغيره .. كنا نجد بصماته واضحة فى اللحن والغناء أيضًا وأوضح مثل ذلك المرحومة أسمهان ، على اللحن والغناء أيضًا . وإن أبرز مثل تعيه ذاكرتى لذلك الآن هو أغنية رجعت لك يا حبيبى بعد الغياب ... وهى التى كانت تغنيها أسمهان من ألحان فريد .. فى تلك الأغنية .. ما زلت حتى الآن أسمع بوضوح عزف فريد على العود .. وغناءه مع الكورس .. بالإضافة إلى صوت أسمهان نفسها ..

وكان فريد .. إلى جانب كونه ملحنًا ومطرباً .. أكثر من ساحر فى عزفه .. لقد كان له تكنيكه الخاص فى العزف على العود .. وكان له مستواه الخاص فى الإتقان .. من حيث إن فرقة موسيقية كاملة كان يمكن أن تضبط نفسها على عوده .

إننى أؤكد أن صورة فريد فى عزفه .. قد شدتنى تماماً فى البداية .. بحيث إننى كنت أتدرب على العزف على العود .. وصورة فريد فى مخيلتى دائماً .

ومن وقتها وفريد الفنان يفرض نفسه على دائماً ..

فعندما انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة الزراعة بالمحلة الكبرى .. اختارنى مدرس التربية الزراعية .. وكان اسمه « أبو الوفا » لكى أشترك بالغناء فى أول حفل سمر يقيمه فريق الكشافة بالمدرسة .. وبمجرد أن صعدت إلى المسرح .. وجدتنى أغنى تلقائيًا

أغنية « عشك يا بلبل »

وعندما تخرجت وعملت ناظراً للزراعة .. كانت أول سهرة لى هى مع أغنية « ياللاسوا .. » فبمجرد أن بدأت سهرتنا كأصدقاء .. دخل علينا صديق ليزف لنا آخر الأنباء .. إن فريداً أذاع أغنية جديدة اسمها ياللاسوا .. وبمجرد أن بدا الصديق يردد الأغنية .. ظللنا نرددها معه جميعاً طوال السهرة ..

هكذا بدأت علاقتى بفريد الأطرش كمستمع ..

أما علاقتى به كفنان .. فلم تبدأ مبكراً .. فسنوات طويلة كانت قد مضت على اشتغالى بالفن .. قبل أن أعرف أول رأى لفريد الأطرش فيما أفعله .

كانت قد أذيعت لى فعلا ألحان قدر لها أن تنجح وتحظى بقدر لا بأس به من الشهرة . . ومنها أغنية صافينى مرة . . وبتقوللى بكره . . اللتين غناهما المطرب عبد الحليم حافظ .

وحدث فى تلك الفترة التى كانت هى مطلع الخمسينات أن سألت إحدى المجلات الفنية بعض الملحنين عن الموجة الجديدة التى بدأها كمال الطويل وأنا . .

وأذكر أن الأستاذ أحمد صدقى علق على السؤال قائلا : دول ناس باين عليهم زى ما يكونوا جايين من الصعيد الجوانى .

وقال الأستاذ محمود الشريف : ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم ..

أما الأستاذ فريد الأطرش فقد أجاب بقوله .. لا أستطيع أن أقول رأيى فى كمال الطويل ومحمد الموجى الآن ... لا بد أن يستمرا فى العمل بهذا المستوى على الأقل عشر سنوات . . حتى نستطيع أن نحكم هل يمثل نجاحهما خبطة حظ . . أو يمثل طفرة فنية . .

كانت تعليقات الجميع صعبة .. ولكن تعليق الأستاذ فريد الأطرش كان أكثرها حناناً .. بل أكثرها إنعاشاً لحماسنا .. كمال الطويل .. وأنا ..

لقد كان فريد فناناً كبيراً دائماً . . طيب القلب دائماً .. فى داخله قدر كبير من حب المنافسة . . وليس فى داخله ذرة واحدة من الغيرة !

إننى أذكر أول مرة دخلت فيها بيت فريد الأطرش .. وكان قد دعانى هو – مع عدد كبير من أصدقائه وعلى رأسهم الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبرغم أننا فى الجزء الأول من السهرة كنا مندمجين فى سماع أغنية « أسمع . . اسمع لما أقول لك » . . وهى التى كانت تمثل وقتها أحدث أغنيات فريد الأطرش . . فإن زوجتى – أم أمين – كانت مبهورة تماماً بوجود الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبينما كنا نحن مندمجين مع أغنية فريد .. كانت « أم أمين » تتحدث مع الأستاذ عبد الوهاب عن أغانيه التى تعشقها منذ الصغر .

ولكن فريداً كان يأخذ الأمر ببساطة ودعابة وفكاهة .. قائلا لأم أمين : طبعاً يا ست .. أنا حاروح فين جنب عبد الوهاب .. ناس لها بخت وناس مالهاش ..

وفى تلك الليلة عرفت من فريد الأطرش وعنه .. ما أثبتت لى الأيام بعد ذلك صدقة بدرجة مذهلة ، فبعد أن انتهت السهرة وبدأ جميع الأصدقاء الذين تتكون منهم شلة فريد الدائمة نحانى فريد جانباً ونحى من على وجهه تعبير المرح الكامل الذى كان مرتسماً طوال السهرة .. وقال لى فى جدية وحزن يقترب من الكآبة :

تعرف يا موجى .. ؟ أهو دلوقت كل دول يخرجوا يتريقوا على .. !

وكانت هذه الملاحظة صحيحة بدرجة مدهشة .. ولكن كان يخفف منها أن فريداً نفسه أول من يعرف ذلك عن معظم الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من أصدقائه .

وبرغم أننى كنت معجباً بفن فريد الأطرش منذ بدايتى المبكرة .. فإن الفن .. أو العلاقة الشخصية لم تجمعنا بين فترات متباعدة كنت أبادر أنا فيها إلى التعبير عن مشاعرى الدائمة نحو فريد الأطرش .. الذى كان يحقق لنفسه – ولنا – صورة مشرفة كفنانين . ربما من أجل هذا كنت قد رشحت نفسى مرة فى سنة ١٩٦٤ أو١٩٦٥ –

لا أذكر على وجه الدقة – لمنصب رئيس جمعية المؤلفين والملحنين ولكن بمجرد أن علمت أن الأستاذ فريد الأطرش ينوى أن يرشح نفسه .. ذهبت إلى الجمعية وأعلنت تنازلى على الفور .

وربما من أجل هذا أيضاً كان فريد برغم تلاقينا المتباعد يعرف على وجه التأكيد .. وبصفة دائمة .. مشاعرى نحوه .

ولقد حدث فى إحدى المرات التى كنت فيها فى لبنان أن فوجئت ذات صباح بمجلة لبنانية تبرز خبراً يعبر عن نشاطى الجديد .. وبأن على رأس هذا النشاط أن فريد الأطرش سوف يغنى من ألحانى .. بعد أن بدأت فعلا فى إعداد لحن جديد لفريد .

لم يكن للخبر أى أساس من الصحة طبعاً .. ومع ذلك فإننى فضلت فى تلك المرة أن أستنكر الخبر لفريد الأطرش بنفسى .

لقد طلبته فى التليفون وسألته عما إذا كان قد قرأ الخبر ؟ .. فأجابنى بالنفى .

وبمجرد أن شرحت له ما حدث .. وقبل أن أعلن له أنه لا أساس للخبر على الإطلاق فوجئت بفريد يقاطعنى ضاحكاً وهو يقول .. يا ريت .. والله يا محمد وحياة أمى أقولها لك من كل قلبى يا ريت وأنا مستعد أغنى من ألحانك فوراً .

كان فريد فناناً بسيطاً وكان فريد أيضًا إنساناً بسيطاً ..

فقبل وفاته بأشهر قليلة كان أحد المنتجين السينمائيين قد استدعانى إلى بيروت للانتهاء من تلحين أغنية للفنانة صباح .. ولأن الانتهاء من تنفيذ اللحن لا يستغرق فى العادة أكثر من أسبوع .. فقد اتفق المنتج مع الفندق فعلا على تغطية مصروفاتى لمدة أسبوع .

ولكنى لسبب أو لآخر لا شأن لى به .. ، امتدت مدة تنفيذ وتسجيل الأغنية إلى خمسة عشر يوماً ..

وفوجئت صباح يوم سفرى بمصروفات إضافية ضخمة يجب أن أدفعها .

وتحيرت ماذا أفعل .. فلم يكن قد بقى معى ولا ليرة واحدة .

ووجدت نفسى أرفع سماعة التليفون وأطلب فريد الأطرش .

إننى لم أفكر فى أن أطلب المنتج .. ولا حتى فى أن أطلب الفنانة صباح .. ولكننى بدلا من ذلك وجدت نفسى أطلب فريد .. وأقص عليه ما حدث .

وفى خلال عشر دقائق كان فريد قد أرسل إلى سكرتيرته حاملة إلى مبلغاً هو ضعف المبلغ الذى يجب على أن أدفعه .

وعدت إلى القاهرة عارضًا على فريد رد المبلغ فى أول مرة رأيته فيها .. ولكنه رفض بإصرار وبعد وفاته اخبرت المحيطين بفريد الأطرش بالقصة وبرغبتى فى تسديد المبلغ ولكنهم رفضوا أيضاً قائلين : ما دامت تلك رغبة فريد فهى رغبتنا أيضاً . .

وفى مرة أخرى تكررت نفس القصة ولكن مع فرقة موسيقية بأكملها ..

كانت الفرقة الماسية تحيى بعض الحفلات فى « دبى » وفى طريق عودة أعضاء الفرقة وكان عددهم حوالى الثلاثين من دبى إلى القاهرة توقفت بهم الطائرة فى بيروت وأصبح عليهم أن يستقلوا طائرة أخرى من بيروت إلى القاهرة .

وكانت أول طائرة إلى القاهرة هى فى اليوم التالى ..

واحتار أفراد الفرقة .. ووقعوا فى مشكلة .. لأنهم لم يكونوا يحتفظون بأية نقودفى عودتهم وأصبح عليهم فجأة أن يقضوا فى بيروت ليلة على نفقتهم الخاصة .

وتجمع أفراد الفرقة فى فندق بريستول ليتدبروا ماذا يفعلون . وبينما هم يتشاورون إذا بفريد الاطرش يراهم صدفة فى أثناء خروجه من الفندق وبمجرد أن علم بالمشكلة أصر على أن ينزل الجميع فى فندق بريستول على نفقته الخاصة .

وفى تلك الليلة نفسها .. فوجئ أعضاء الفرقة أيضًا بأن فريد قد أعد لهم مأدبة ضخمة . تكفى لمائة فرد لا لثلاثين فى مطعم اليلد زلار المشهور .

كان هذا هو فريد الإنسان ..

وكان فريد الفنان هو بنفس القدر من البساطة والوضوح ..

لقد وجدت نفسى فى مطلع حياتى متأثراً للغاية بفريد الأطرش .. إلى درجة أننى بعدوى حزنه على وفاة أخته المرحومة أسمهان أتمنى لو كنت أنا قد لحنت لها ...

وفريد الأطرش بدأ حياته الفنية بالعمل مع بديعة مصابنى .. وشاءت الصدف بعد ذلك أن أبدأ أنا الآخر حياتى الفنية بالعمل مع صفية حلمى .. وهى التى كانت التلميذة الأولى لبديعة مصابنى .

وعندما بدأت أحصل على أول أجر لى فى كازينو كوبانا الذى كانت تملكه صفية حلمى .. كان الأجر هو مجرد عشرة قروش فى الليلة ولكن الأمر كله هان على لأن فريداً بدأ حياته عند بديعة بأجر أقل من ذلك الذى أبدأ به أنا عند صفية فى سنة ١٩٤٩ .

إن الفنان لا بد أن يعطى أولا ويعطى الكثير – قبل أن يأخذ .

والفنان لا بد أن يعيش الحياة فى أكثر نقطها انخفاضاً .. قبل أن يجرب الحياة بعد ذلك .. عند أكثر نقطها ارتفاعاً ..

والفنان لا يمكن أن يكون أبداً « خلفة شيطانى » إن جذوره يجب أن تمتد فى الأرض فإذا أراد لفنه بعد ذلك أن يعبر عن الناس فلا بد أولا أن يخرج من الناس ..

ولقد استطاع فريد أن يخرج من الناس لكى يعبر بعد ذلك عنهم .. بل إننى أعتقد أن فريداً لم يحصل فى حياته على فرصته الكاملة فى التعبير عن الناس . . ولو تحققت تلك الفرصة فى حياته لكانت النتيجة بعد ذلك مدهشة .

ذلك لأن فريداً الأطرش كان أحسن من يصلح للمسرح الغنائى .

إننى شخصياً أعتقد أن الكازينو الذى أقامه فريد الأطرش فى بيروت وانتقده فى ذلك كثيرون .. كان المقصود به أن يكون مسرحاً استعراضياً .. ولكنه أخطأ الطريق فى نقطة ما .. بحيث استقر عند كونه مجرد ملهى ليلى .

لقد كان فريد بطبيعته فناناً مسرحياً ..

إنه مبدئيًّا يعتبر واحداً من أحسن الذين قدموا ألحاناً استعراضية للمسرح الغنائى . . إن دليلى الواضح فى ذلك هو ألحانه الاستعراضية التى قدمها فى أفلامه السينمائية ، ولو ضربت مثلا واحداً على ذلك فسوف اختار استعراض « بساط الريح » .. الذى لا يتجاوز مدته ربع الساعة أو ربما عشر دقائق.فى تلك الدقائق العشر جمع فريد كل فنون المنطقة العربية تقريبًا .

إن هذا الاستعراض نفسه يحمل بذرة المسرحية الاستعراضية الغنائية الكاملة .. وبالإضافة إلى ذلك فإن فريد كان يملك « النفس الطويل » الذى يعتبر شرطاً جوهرياً للنجاح فى المسرح الغنائى إنه كان من الفنانين القلائل الذين يستطيعون الغناء على المسرح ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات متواصلة .

كان فريد يمتلك النفس الطويل مسرحيًّا ... وكان يمتلك الحضور المسرحى .. والجرأة الضرورية لكل فنان يواجه الجمهور من فوق مسرح ... وكان يمتلك حتى « الوقفة المسرحية » إن من يلاحظ الاستعراضات الغنائية التى قدمها فريد فى السينما يلاحظ مدى قدرته على إقناع المتفرج بأنه يغنى من فوق مسرح محتشد بالجمهور .. وليس من داخل بلاتوه يخلو تماماً من الجمهور ..

إن من يرى كل هذا ويجمعه معاً .. يحصل فى النهاية على نموذج كامل لفنان اختار منذ مولده أن يكون فناناً مسرحيًّا ... ومع ذلك فإن هذا لم يحدث فى حالة فريد الأطرش بغير سبب واحد مفهوم ندريه أو نعلمه .

وكان فريد نموذجاً فريداً حقًّا للفنان الذى يعطيه فنه قوة إضافية مدهشة .. إن فريداً المطرب والملحن استطاع أن يهز فاروق الملك والسلطان بأغنية واحدة اسمها نورا نورا .. يا نورا . وإلى جانب أن هذه كانت غالباً ميزة مضافة وكبيرة فى فن فريد الأطرش فإنها كانت فى بعض الأحيان ميزة مخصومة منه .

فلقد ترتب على اندماج فريد العاطفى فى فنه حتى النهاية . . أن أضفى على أغانيه

طابعا حزينا مميزا .

لقد كان هذا أمراً غريباً ومحيراً فى الوقت نفسه . ففريد ، كفنان وإنسان كان يتذكر ماضيه بحب .. وفى الوقت نفسه كان يعيش حاضره بابتهاج ومرح وتفاؤل وحب ، ولكن عندما كان الأمر يصل إلى المستقبل فإن هذا الإنسان البسيط المرح . . كان يتحول إلى إنسان آخر يخلو من البساطة أو التفاؤل والمرح .

ما هو السبب بالضبط ؟

لا أعرف .

إن فريد الأطرش الفنان كان متميزاً من نواح كثيرة على المستوى الإنسانى .. وعلى المستوى الفنى فإننى أعتقد أن قيمة فريد كمطرب تأتى فى الدرجة الأولى قبل قيمته كملحن .

لقد كان صوت فريد الأطرش بارزاً ومتميزاً فى الغناء العربى خلال كل العصر الذى عاشه هو وعشناه نحن معه . إن فريد كان واحداً من أربعة غنوا بالموهبة نفسها . . أربعة أعتقد أنا أنهم أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ .

إننى أعتقد أن فريداً كان يرى موهبته الصوتية من الزاوية التى أراها أنا بها هنا .. بدليل أنه لم يمانع أبداً بل رحب فى كثير من الأحيان بأن يغنى بصوته من ألحان غيره ... ولو كان هذا قد حدث فأعتقد أن الملحنين الآخرين كانوا سيبرزون جوانب أخرى ممتعة فى صوت فريد الأطرش قد لا يكون هو قد تنبه لها .. أو ربما يكون التفسير موجوداً بشكل آخر .. فربما لم يجد فريد مثلا من يستثمر صوته أحسن منه .. فقرر أن يركز على استثماره ..

ولكن حتى مع وجود هذا التفسير فإننى ما زلت أكرر اعتقادى بأن استسلام فريد المطرب لفريد الملحن لفريد الإنسان .. جعل معظم أغانيه تخرج فى النهاية حزينة بالشكل الذى لمسناه جميعاً ، وحتى فى الحالات القليلة التى كان فريد يؤدى فيها ألحاناً

هى بطبيعتها تعبير عن مواقف مرحة وموسيقى مرحة فإنه كان يؤديها أيضا بصوت فيه من الحزن الدفين قدر كبير .

إن أقرب مثل أتذكره لذلك هو أغنية « دقوا المزاهر ياللا . . » فى تلك الأغنية لا يستطيع إنسان أن ينقل الحزن المكتوم فى صوت فريد حتى فى موقف غير حزين .

هل كان السبب هو وجود شرخ عاطفى عميق فى نفس فريد الأطرش ؟

هل كان السبب هو حزنه العميق على وفاة أخته أسمهان ؟

هل كان السبب هو إحساسه بأن كل العواطف التى يراها امامه وحولها مزيفة وكاذبة ؟

إن فريداً الأطرش كان فناناً صادقاً .. وإنساناً صادقاً .. وسط إطار يخلو منه الصدق تماماً ، بل يملؤه الكذب تماماً .

إننى لم أر إنساناً طيباً ومخلصاً وصادقاً فى مشاعره بمثل ما رأيت فريداً الأطرش .. كان فريد صادقاً للغاية حتى فى الطريقة التى يصافح بها أو يقبل بها صديقاً له .. إن اليد الممتدة .. والكلمة المرحبة والابتسامة الصافية .. كلها تؤكد أن صاحبها لا يفتعل شيئاً ليس فيه . . ولا يرتدى قناعاً على عواطف يخلو منها . . ولا يرسم على وجهه ترحيباً لا يحس هو به .

ربما من أجل هذا لم يكن فريد الأطرش ناجحاً كممثل . إن التمثيل لم يكن من طبعه .. وبالإضافة إلى ذلك فإن التمثيل كان يتنافى أصلا مع طبيعة شخصيته .

والذين شاهدوا أفلام فريد الأطرش ، وهى عموماً كانت أفلاماً ناجحة جدًّا من الناحية التجارية ، فإنه كان يشاهدها سعيًا وراء صوت وموسيقى فريد الأطرش ، وليس سعيًا وراء تمثيله .. بل إننى أقول .. بالرغم من تمثيله !

ولم يكن فريد وحده فى ذلك .. محمد عبد الوهاب نفسه حدثت له التجربة نفسها فى السينما . أنا أيضًا حاولت مرة أو مرتين . ولكن فريداً استمر فى السينما مدة أطول لأن الممارسة تؤدى إلى مزيد من الممارسة .

ومع كل فيلم جديد لفريد .. كان الإنسان يحس أن النجاح هو أولا نجاح فنى قبل أن يكون نجاحاً تمثيليًّا .. وكان يشفع لفريد فى ذلك أن المتفرج كان يحس فى كل مرة أنه أمام فنان حقيقى وصادق « تورط » فى أن يكون ممثلا .. أو أصبح ممثلا بحكم الضرورة ، وليس بحكم الهواية والقدرة !

لقد طغى صوت فريد الأطرش وموسيقاه على أى جانب آخر فى فنه . وليس صدفة أبداً أن تظل أغنية « الربيع » هى الأغنية الأولى المعبرة فعلا عن الربيع طوال أكثر من خمس وعشرين سنة ! فى تلك الأغنية يستطيع الإنسان أن يشم فعلا رائحة الورد والنسيم والربيع منذ أول دقيقة ! لقد اعتدنا جميعاً أن يكون هذا اللحن هو أول جزء أساسى من استقبالنا للربيع فى كل سنة . وطوال تلك الفترة ، وهى طويلة فعلا ، لم يستطع أى فنان آخر أن يقدم بديلا يتفوق على تلك الأغنية . أو يقترب من تأثيرها .

إن ما سوف يبقى من فريد الفنان هو الشىء الكثير جداً . يكفى أن نسرب هنا نماذج بأبرز الأعمال الغنائية التى قدمها لنا على امتداد سنوات طويلة .. وعلى رأسها مثلا : حبيب العمر .. أول همسة .. الربيع .. حكاية غرامى .. إلخ .

إن فريد الأطرش يمكن تلخيص حكايته كلها فى أغنية واحدة منها هى أغنية أغنية « حكاية غرامى » .. لأنها كانت تمثل فعلا حكايته الشخصية . إنها لم تمثل حكايته مع امرأة محددة . أو حالة واحدة . ولكنها مثلت حكايته مع كل امرأة .. ومع المرأة بصفة عامة .. بحيث كان يجب أن يسميها « حكاية حكايتى » مثلا .. وليس « حكاية غرامى » !

ولقد أثر فريد الأطرش بموسيقاه فى كثيرين من الذين عاصروه .. بشكل أكبر جداًّ من تأثره هو بالذين عاصروه !

وكان فريد فى موسيقاه صورة صادقة لفريد فى عواطفه . وحتى فى الحالات التى كان فريد يلحن فيها لغيره .. فإنه لم يكن يبخل مطلقاً فى تدفق عواطفه هو على اللحن

الذى يقدمه . ذلك لأن فريداً كان رمزاً للفنان الذى يعمل من أجل الفن .. وليس من أجل دوافع أكثر عملية من ذلك !

إن أصدق صورة لذلك .. كانت هى صورة فريد حينما يعزف على عوده مع الفرقة الموسيقية فى أية أغنية يقدمها .

فمن الناحية الشكلية كان الإنسان يحس أن فريداً حنون على الفرقة الموسيقية بأكملها .. وأنه يتعامل معها موسيقيًا وفنيًا باعتبارها جزءاً أساسيًا منه ، وليس جزءًا خارجاً عنه .. هذا بالرغم من أن فريداً كانت له قيمته الخاصة ، وربما الكافية ، كعازف على العود .

وحينما كان فريد يعزف على العود . فإنه كان نموذجًا للفنان من ناحية .. ونموذجًا للفنان الذى يعطى صورة مشرفة للموسيقى الشرقية من ناحية أخرى .

لقد كان فريد واحداً من أبرز الذين أحبوا الموسيقى الشرقية وحافظوا عليها .. وعملوا على تحقيق التطور من خلالها . إن مسألة الخروج بموسيقانا إلى العالم قد شغلته طبعاً .. ولكنه كان مؤمناً بأن خروجنا بالموسيقى إلى العالم لا يجب أن يكون على حساب تمسكنا بطابعنا الشرقى الخاص المتميز .. إنه كان يردد أننا لو خرجنا إلى العالم ، حتى ولو بـ « طقطوقة » .. أو أغنية صغيرة .. فإن هذا يصلح كبداية صادقة وناجحة .

وفريد الأطرش لم يكن أبداً ضد تطوير الموسيقى الشرقية . . وهو لم يكن أيضاً ضد إدخال بعض الآلات الغربية فى الموسيقى الشرقية .. ولكن المسألة كلها أنه كان يرى أننا لا بد أن نوظف الآلة الغربية فى موسيقانا بشكل يخدمنا نحن قبل أن يخدم الآلة نفسها .

ولقد كان فريد الأطرش نفسه أول من حقق ذلك على مستوى عظيم مشرف للفن والفنانين . والواقع أن فريداً الأطرش كان فناناً لا يتكرر .

محمد الموجى

عزيزي فريد الأطرش

بقلم : أحمد فؤاد حسن

الخطاب الأول

« عزيزى الراحل ..

كتبت لك هذه الرسالة فى صيف العام الماضى ..

وقررت أن أنشرها مع بداية العام الجديد ..

ولم أكن أدرى أنك لن تقرأها أبداً .. .

فقد رحلت عنا إلى الأبد .....

وجلست أحاول تحويرها لأخاطب فريداً الراحل ..

وعبثاً حاولت ... !

وها هى ذى كما كتبتها تماماً . وأنت معنا ..

لأننى أحس دائماً أنك معنا .

* بفنك .

* بوفائك .

* بصداقتك الصادقة التى لا تموت » .

.. .. .. كما أن الزواج والاستقرار يا عزيزى فريد كانا أبعد شىء عن حياتى ... ولم يخطرا على بالى قط . فأصبحا أمراً واقعاً وأصبحاَ حياتى كلها . فكذلك صداقتنا كانت فى يوم ما أبعد شىء عن حياتى . . فأصبحت صداقة من نوع جديد . . فريد . .

صدقني يا عزيزي أنني وكل جيلي الجديد من الموسيقيين (الذى أصبح ليس جديدا الآن) . كنا وقتئذ ننظر إليك كما كان ينظر الضباط الأحرار إلى الأسرة المالكة قبل الثورة ... لماذا ؟

أقول لك لماذا

كان جانب الكفاح فى حياتك خافياً علينا .... !

حينما بدأت حياتنا الفنية العملية لم نكن نعرف عن فريد الأطرش غير أنه فنان أرستقراطى النزعة .

لم نعرف عن فريد الأطرش غير أنه يسكن فى برج عاجى ملكى فوق قمة عمارته الشاهقة فى أجمـــل موقع على نيل القاهرة يستقبل فيه أصدقاءه من الأمراء والوزراء والحكام فى العالم العربى ..

ويمارس فيه ومنه هواياته الارستقراطية على أعلى المستويات . النساء ... الخيول ... اللعب ...

وصدقنى أيضًا يا عزيزى فريد – أن هذه الصورة الفاخرة أبعدت عن آذاننا الغضة التى كانت تلتقط كل شيء حينئذ ... أبعدت عنها روائعك اللحنية الأولى .. وصوتك السليم .. ، السليم الذى لا يهرم .

أبعدت الصورة الأرستقراطية الفاخرة .. ألحانك ... وصوتك عنا .. ولكن إلى حين .

وتمضى الأيام ...

وتكتسب الأعواد الطرية صلابة .. وتصبح البراعم الفنية زهوراً فواحة . تنشر العطر حولها أينما تحل ...

وبدأت أنت التقارب ...

بدأته بتجربتك الكبيرة ... وذوقك البالغ الرقة إذ جاءنى يوماً صديق لى ولك يقول :

– الأستاذ فريد قال فيك أمس كلاماً كبيراً ...

– الأستاذ فريد الأطرش ... وماذا قال ... ؟

– قال إن أحمد فؤاد حسن قدم للموسيقى ... وقدم للموسيقين ...

وفعل كذا .. وكذا .. وإننى سوف أكون سعيداً جداً إذا تعرفت به . وسوف أكون سعيداً جداً إذا تعرفت به . وسوف أكون سعيداً أكثر إذا نفذ لى موسيقاى ... وألحانى ...

وكان اللقاء على يد الصديق العزيز الأستاذ جلال معوض ... والمناسبة حفلة أضواء المدينة فى افتتاح مشروع السد العالى فى يناير ١٩٦٠ . فى أسوان .

وكما جمعت هذه الحفلة نجوم السياسة العالمية ... فقد جمعت نجوم الغناء فى الشرق العربى وكان الجو الفنى فى هذا الوقت رائقاً بلا شوائب .. صافيًا بلا غيوم .. فكنت ترى فى الحفلة الواحدة العديد من النجوم ... كنت ترى الحفلة تجمع فريداً وحليماً ووردة وشادية وفايزة وصباح ونجاة وفايدة وشهرزاد وقنديل وطلب وغيرهم .. وتمر الحفلة بلا أية متاعب ولا احتكاكات .

أما اليوم وللأسف ، فيجب أن تكون كسينجرى المواهب لكى تستطيع أن تجمع اثنين من هؤلاء النجوم فى حفلة غنائية واحدة ..

إن لم يكن فى حفلة استقبال واحدة ...

وعندما تقابلنا فنياً أولا . . ثم دعوتنى كصديق إلى بيتك ومحافلك . . وجالستك .. وعاشرتك صدقت المثل الشعبى العميق المعنى .

– تعرف فلان ؟

– أيوه .

– عاشرته ؟

– لا .

– يبقى ما تعرفوش .

نعم يا عزيزى الصديق فريد . . فعندما عاشرتك زال الغلاف المفتعل الذى كان يحيط بصورتك . . وبصوتك . . وبألحانك . . وأخذ التقارب بيننا ينمو ببطء وبعمق ، وبفهم . حتى أصبح صداقة أكبر من الصداقة . . وأخوة وأعمق من الأخوة .

لم تستطع الخلافات الفنية الطارئة أن تؤثر فى هذه العلاقة بل ان كل خلاف ، ولو أدى إلى الانفصال الفنى بيننا ، كان يدفعنا إلى التقارب الأكثر . . حتى نؤكد لنفسينا وللناس أن علاقتنا أقوى من أى شىء .

وأصبح لا يمكن أن يجمعنا بلد واحد بدون أن نكون معاً يومياً فى القاهرة . . فى فى بيروت . . فى لندن فى باريس . . فى الأردن . . فى المغرب . . فى الخرطوم . . فى دمشق . . فى الكويت . . فى ليبيا . .

ومن هذا الرباط القوى المتين . . ومن خلال هذه المعايشة الدائمة أعتقد أننى أستطيع أن أكتب لك فى ما يعن لى حول فريد الأطرش الفنان . . وفريد الأطرش الإنسان . .

يا عزيزى فريد . . .

لا شك أن لك قصة كفاح كبرى فى بدء حياتك الفنية تتواكب مع هجرتك إلى عاصمة الفن القاهرة . . أنت والمرحومة والدتك . . والمرحومة ذهبية الصوت وفقيدة الغناء العربى أسمهان أختك ، وأخوك العتيد فؤاد . . .

عملك كبائع بسيط فى محلات بلاتشى بالموسكى بستة جنيهات شهرياً ، عملك فى كازينو بديعة مغنياً وملحناً بما يوازى هذا المبلغ تقريباً ، إلى نهاية هذه السلسلة من شق الصخر . والتى لا يمكن لفنان مرموق له مكانته فى غابة الفن (عفواً أقصد فى عالم الفن) إلا أن يمر بها ويتجاوزها .

وأنتجت هذه المعاناة بالطبع مجموعة لحنية أصبحت فى وقت ما قوتاً يومياً

للجماهير العربية من المحيط إلى الخليج .

« مجموعة الموسيقى الراقصة » .

« مجموعة الأوبريتات الفيلمية » . . . وهى فى رأيى ثروة لحنية يمكن الآن والآن بالذات . . أن تحول إلى أعمال مسرحية . . وقد يبدو هذا المشروع خيالياً ولكن أين هو المشروع الناجح الذى لم يبدأ بالتصور والتخيل .

« مجموعة الأغانى القصيرة الخفيفة من أول « ياريتنى طير » إلى « يابو ضحكة جنان » .

« مجموعة الأغانى الكبيرة . وعلى قمتها هاتان الأغنيتان ، بل هاتان الظاهرتان الفنيتان » .

١ – الربيع .

٢ – أول همسة .

ولا أعتقد أن مطرباً فى العالم العربى ، بل فى العالم كله قد واتته الجرأة على أن يظل يغنى على المسارح ، أغنية ما ، لمدة ربع قرن أو يزيد كما غنيت أنت هاتين الأغنيتين وكأنك كنت تعرف النتيجة تماماً فى كل مرة . . .

وكم كان أصدقاؤك يشفقون عليك . وعلى نتيجة هذه الجرأة الفائقة فى كل مرة تنوى فيها غناء احداهما .

ولكن ما يحدث من استقبال الجماهير لهما وتفاعله معهما دائماً كان شيئاً مذهلا . بل هو ظاهرة فنية تدعو للدراسة والتحليل .

هل هى الألحان . . هل هو صوتك . . هل هو ارتباط كل لحن منهما بذكريات معينة لكل فرد من هذا الجمهور العريض ؟

أعترف أننى لست أدرى . . .

وأعترف أيضاً أننى فى كل مرة أستمع فيها إلى أحد اللحنين أطرب وأحس بما

يشبه الألفة . . والصداقة التي تجمع بين إنسان . . وشيء غامض ما . . .

وبرغم أنك يا عزيزى فريد قد احتللت بالتأكيد أحد الأركان الأربعة فى قمة الهرم الفنى فى عالمنا العربى .

وأصبحت عضواً دائماً فى نادى القمة الذى تقتصر عضويته الآن على أربعة فقط .

فإن نوعاً من المرارة الفنية ، يقفز إلى لسانك . . ويعذبك مذاقه كلما تذكرت قصتك مع أسطورة الغناء أم كلثوم . زميلتك فى عضوية نادى القمة .

« كل ما وصلت إليه يا عزيزى فريد كان فى كفة ، ولحن لك تشدو به أم كلثوم كان فى كفة أخرى وأنا لا ألومك . . فألحان الموسيقار بناته . .

وأين الأب الذى لا يتمنى أن يزوج ابنته لرجل يضمن لها سعادتها وهناءها .

وصوت أم كلثوم يضمن النجاح والانتشار لكل لحن يقترن به . لا ألومك يا عزيزى العزيز فى هذا المطلب العادل . . .

ولكن ألومك فى الاستمرار فيه . .

فلقد عرضت عرضك وطلبت طلبك وصار للموضوع مباحثات طويلة كالمباحثات المصرية البريطانية أيام زمان إلى أن حدثت القصة التى كان يجب أن تختم الموضوع .

عندما اتصل بك الزميل أحمد الحفناوى يطلب منك الحضور لبيت سيدة الغناء لتسمع منك ما عندك . . وطرت فرحاً . وطرت إلى بيتها حاملا عودك وآمالك وفى المقابلة الفنية الكبيرة استقر رأيها على أغنية (وردة من دمنا) شعر الأخطل الصغير . . وكان لها شرط واحد هو ألا يعلن عن ذلك إلا فى حينه عملا بالحديث الشريف (استعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان) ولأسباب أخرى لست فى حل من ذكرها الآن . .

وحددت ميعاداً لبدء البروفات . . وعندما حان هذا الميعاد تبدد كل ذلك . . وكأن شيئاً لم يكن . . بلا أى سبب معقول . . .

عزيزى الإنسان فريد . . .

قد لا أعدو الحقيقة إذا قلت لك إنك أعجب انسان قابلته فى حياتى .
أنت طيب وقاس ،
أنت غنى وفقير ،
أنت صحيح ومريض .
أنت باختصار مجموعة متناقضات تشكل إنساناً لا يملك كل من يعرفه إلا أن يحبه . وإلا أن يشعر أنه لا يستطيع أن ينساه أو يبتعد عنه .
أنت طيب وقاس بدرجة مؤلمة .

فكل إنسان يعيش فى مجتمع ، قد اكتسب مع الزمن كنترولا معيناً يحدد له مدى صراحته فى تعامله مع الناس ، إلا أنت .
فلم تعترف بعد بهذا الكنترول أو لم يتمكن هو من التعايش مع طبيعتك الطفلة .
وأنت غنى وفقير بدرجة مؤلمة .
فكل إنسان يحدد لنفسه المدى الذى يستطيع أن ينفق فيه والمدى الذى يستطيع أن يدخره لأيامه المقبلة . . . إلا أنت فقد شاهدتك بنفسى تفقد عشرات الألوف فى ليلة واحدة .
وحضرتك بنفسى وأنت تطلب أن تعمل وأن تلحن وتغنى للإذاعة والتليفزيون لتستطيع أن تدفع ديونك وتعيش .
وأنت صحيح ومريض بدرجة مؤلمة .
فكل إنسان يخاف على نفسه وتتملكه غريزة البقاء إذا ما أتاه النذير بخطر معين على صحته ويبدأ فى تلافى جميع الأسباب التى أدت إلى هذا الخطر الذى يهدده ، إلا أنت .

فعندما ينصحك الناصحون تقول لهم ضاحكاً :
« إننى مؤمن أن الله لن يمهلنى ساعة واحدة عن الميعاد الذى حدده لوفاتى سواء

أكنت ، مريضاً أم صحيحاً » ثم تضيف مقهقهاً : أتدرون ماذا حدث للطبيب الذى حدد لى عاماً واحداً أعيشه بعد أزمة القلب الأولى التى حدثت لى . . لقد مات هو بعدها بقليل وعشت أنا عشر سنوات أخرى ومن يدرى كم سأعيش أيضاً .

بقيت لى يا عزيزى فريد نقطة واحدة فى حياتك كإنسان . نقطة خاصة جداً . يمكن أن تملأ كتاباً كاملا . . ويمكن أن نختار لها عنواناً (فريد والنساء) أو (فريد والزواج) .

ولكنى هنا . وفى هذه الرسالة القصيرة سأقول رأيك أنت فى هذا الموضوع ثم رأى الناس . . ثم رأيى أنا .

١ – رأيك أنت يا عزيزى – أنه وعلى كثرة من عرفت من النساء . . من مختلف صنوف النساء لم تعثر على المخلوقة التى تستطيع أن تشدك من عالمك الحافل بكل ألوان المتعة ، وبكل مباهج الحياة ، وأن تعوضك داخل سجن الزواج الذهبى . . عن دنياك الرحبة الفسيحة الحاشدة بمئات الأصدقاء من كل جنس ولون .

٢ – رأى الناس عموماً : وأصدقاؤك خصوصاً – أنك أبعد الناس عن الزواج . . ولا سيما الآن . . . وأنك ستجنى على من ستتزوجها . . وأنك لن تستطيع بأى حال من الأحوال أن تعرف الفرق بين الحياة الزوجية بكل قدسيتها . . وبكل قيودها . . وبين الحياة الحرة . . وخصوصاً حياتك أنت بالذات .

٣ – رأيى أنا : يا أخى العزيز فريد . . . أنك كنت مع النساء كلاعب كرة القدم يجرى بكل حواسه وطاقته وراء الكرة . وعندما تكون فى متناوله يتخلص منها بسرعة إلى لاعب آخر . . . وهكذا دواليك .

والآن . . هل تستطيع أن تكسر قواعد اللعبة وتحتفظ بالكرة وتجرى بها خارج الملعب . . إلى بيتك . . هل تستطيع . . . ؟

إن كنت تستطيع فافعل فوراً وبسرعة .

لا تستمع إلى من يحاولون إثناءك عن عزمك . . ولو كانوا أقرب الناس إليك . . اعزم فوراً . . وتوكل . . وأنا واثق أنك ستبدأ حياة جديدة . . جديدة فى كل شىء . . وستدخل عالماً آخر من المسئوليـــة المحببة إلى النفس . . وستفتح باباً إلى دنيا من الإلهام والإبداع الفنى . . سترضيك .

وترضى جمهورك العريض .

وترضى معشوقتنا الإلهية الأبدية :

« الموسيقى » .



الخطاب الثانى

عزيزى الغائب . .

بلا وعى . . وبدون مقارنة . . وبرغم أننى لا أمسك القلم لأكتب إلا كل حين . . فقد وجدت نفسى بحاجة لأن أتحدثك إليك .

وهأنذا أكتب إليك مرة أخرى .

حقًّا . . اختلفت المرتان اختلافاً كبيراً .

فى المرة الأولى كنت موجوداً بيننا . . كنت موجوداً . . حاضراً . . تملأ الدنيا حواليك بهجة ومرحاً وانطلاقاً . وهذه ليست مبالغة .

إنها الحقيقة . . فهذا هو أنت يا فريد . . أو ما كنت .

أنت لم تكن تطيق لليل نهاية . . ولا تطيق للنهار وجوداً . . لا تعترف بانفصال مؤقت بينك وبين من تحب . إنك تريدهم معك دوماً . . يضحكون . . يمرحون . . يلعبون . . يستمعون إلى ألحانك وصوتك . . وتستمع معهم ، وكأنك تستمع إلى إنسان آخر . وألحان تسمعها لأول مرة . . تطرب لها وتعجب بها .

وفى هذه المرة . . أنت غائب . . بعيد . . فى عالم آخر مجهول ، مجهول .

إنى وجدت نفسى بحاجة لأن أتحدث معك . . أو أكتب لك . . وأنت فى هذا العالم المجهول وبى ثقة غريبة أنك تسمعنى أو تقرأ لى .

لماذا ؟

لست أدرى . . ولست أريد الخوض فى فلسفيات روحية . . أو البحث فى ما وراء الطبيعة . . ولكن هذا هو ما أحسه . . وأصدق ما نملك فى حياتنا هو الإحساس .

أتذكر يا عزيزى فريد عندما كنت أنصحك أن تدخر لغدك شيئاً ينفعك وقت أن ينفض السامر . . ويتفرق الناس من حول الفنان عندما ينطفئ بريقه .

قطعة أرض . . عمارة . . أى شىء من هذا القبيل وأقول لك لقد أضعت الملايين . . واستمتعت بكل شىء وعشت ما عشت من حياتك بالطول وبالعرض .

فلا أقل من أن تعمل حساباً لأيام الجفاف الفنى . .

وتقول لى فى ثقة غريبة لن أعيش أيام جفاف فنى . . وسأموت كما عشت أستمتع بحياتى حتى آخر لحظة . . ولن أتعمد أن أترك شيئاً . . ولمن أترك من بعدى . . ؟ أنهم . . أنهم سينسوننى ويتصارعون فى سبيل ما تركته فلأرح نفسى وأريحهم .

صدقت يا فريد . . فما حدث بعد ذهابك . . كان مأساة أخرى . . برغم قلة ما تركته نسبيًّا . . برغم قلة مالم يمهلك القدر لتصرفه . . فقد أحدث معارك . . وفرقعات بين الإخوة . . وبين الأصدقاء والصديقات . . وظهر لك أقارب وأبناء وحفدة يعلم الله أين كانوا فى حياتك وخاضت الصحف فى هذا الموضوع السيئ . . وأفردت له صفحات وصفحات وأعداد خاصة وعامة .

وأمرح يا عزيزى فريد وأطرب . . فقد لحقك الحسد حتى وأنت ذكرى . . حتى وأنت فى عالمك المجهول ولكنه حسد نبيل جميل واسمع القصة بأكملها. فى لقاء لى مع الفنان الكبير . . المهندس الملحن أحمد صدقى والذى أقبل بكل طاقته الفنية وإمكانياته الإبداعية فى هندسة البناء والفن التشكيلى . . أقبل على إعادة بناء مقبرة جديدة رائعة تضم رفاتك . . وأختك ذهبية الصوت أسمهان .

فى هذا اللقاء قال لى أحمد صدقى . . إننى أحسد هذا الرجل . . . أحسد فريد الأطرش . قطعاً إنه عمل خيراً كثيراً .

قطعاً إنه قريب من الله . . .

هل تتصور أنه للآن وبعد مرور شهور على وفاته لا يمر يوم واحد . . إلا ويأتى لزيارته أشخاص مجهولون . سيارات تقف وينزل منها راكبوها ليقرءوا ويقرءوا على روحه

بعضاً من آيات الله . . أناس مختلفو الشخصيات يأتون جماعات وفرادى ليتصدقوا على روحه ويقرأوا له الفاتحة . . وهذه الحسناء الغامضة . . الملتفة بعباءة فضفاضة من الحرير الأسود . . لا يمر يوم إلا وتوقف سيارتها بعيداً . . وتأتى إلى القبر لكى تضع باقة من الزهور . . ثم تنسحب فى هدوء .

وكما وجدت نفسى يا فريد بحاجة إلى أن أكلمك . . أو أكتب لك . . وجدت نفسى وقد فرغ منى الكلام . . ولم أملك إلا أن أقول لك : إلى اللقاء .

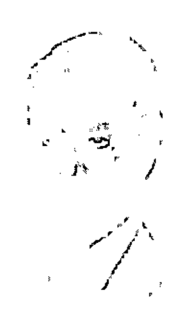
أحمد فؤاد حسن



إنها علاقة عمر

بقلم : محمود لطفي





كانت المسافة التى تفصلنى عن فريد الأطرش هى نفسها المسافة التى تفصل بين الجمهور . . وبين الفنان !

كنت واحداً من جمهوره . . وواحداً من المعجبين بفنه .

ثم التقيت بفريد معنوياً قبل أن ألتقى به فى الواقع بخمس عشرة سنة !

لقد تم اللقاء بغير موعد . . وانتهى بغير وداع . . ومن يومها لم يخرج فريدمن قلبى دقيقة واحدة !

كنت مجرد تلميذ فى البكالوريا (الثانوية العامة الآن) . . وفى ذلك اليوم من صيف سنة ١٩٤٤ كنت أضع أذنى على جهاز الراديو ، مثل الآف غيرى .

إننا لم نكن متلهفين على سماع فقرة إذاعية ، أوحتى أغنية . . فالخبر الذى نحن جميعاً فى انتظاره . . كان هو أحلى أغنية !

فعلى عادة الإذاعة وقتها . . كان يوم إعلان النتجة . . هو اليوم الذى تذيع فيه الإذاعة أرقام جلوس الطلبة الناجحين . . كأسرع طريقة فى نقل خبر النجاح اليوم .

وانتظرنا الإذاعة بقلوب ترتعش . . وصبر فارغ .

كان الوقت هو الثالثة عصراً . . والمكان هو شبين الكوم عاصمة محافظة المنوفية .

لقد إنتهى المذيع من قراءة نشرة الأخبار ، ثم بدأ فى التعليق على الأنباء ، ثم انتهى التعليق على النبأ ، ثم . .

غنى فريد الأطرش .

كانت الأغنية وقتها هى : عشك يا بلبل !

وكان إحساسى بالأغنية مؤجلا تماماً ، لأننى أريد أن أطمئن بسرعة على مصيرى بين الناجحين .

ثم بدأت الإذاعة . وعرفت خبر نجاحى ، وبعدها . . عدت من جديد إلى إحساسى بأغنية فريد الأطرش !

من يومها أصبح فى داخلى إحساس غامض وعام بالتفاؤل من أى شىء يوجد فيه فريد الأطرش ! إننى لم أكن أعلم بعد أن الظروف سوف تشاء لى بعدها بخمس عشرة سنة أن أكون محامياً لفريد . . ثم صديقاً له . . وشريكاً له فى « الحلوة والمرة » لمدة خمس عشرة سنة أخرى . . إلى أن انتقل إلى رحمة الله فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٧٤ .

وخلال تلك الفترة الطويلة أستطيع أن أقول إنى لم أعرف فيه فقط مجرد فنان أو صديق ولكن الأهم من ذلك . أننى عرفت فيه أطيب قلب . . وأرق إنسان . . وأعز أخ .

فى الواقع أن فريد كان يمثل التطرف فى كل شىء : فهو إما صديق . . أو لا . . وإما مخلص محب أو لا . . وإما يحب أو لا . . ولكن لم يعرف الخيانة فى حياته ولم يعرف الغش فى حياته . . ولم يعرف الكراهية فى حياته.

كان يحب كل الناس ويتأثر من أية كلمة ولو صغيرة . . كان يصدق أى كلام يقال له . . ليس عن غفلة أو عته ولكن لأنه يثق فى كل من حوله . . ولا يستطيع أن يصدق أنه يوجد إنسان يكذب . . وإذا كان يكذب على كل الناس

فعليه هو لا . . ولكن إذا تأكد فى أى يوم أن صديقاً كذب عليه . . فإن هــذا الصديق لا يوجد له مكان بجواره . . ولا يقبل منه أى عذر .

كان يحب المواعيد . . ويحترم المواعيد . . ويكره من يزوره من غير ميعاد . . بل إنى رأيته يرفض مقابلة شخصية كبيرة حضرت له دون ميعاد . . ولم أستطع أن أقنعه بأن الرجل لم يعرف رقم تليفونه . . وأنه كان عابراً بالقاهرة ورأى أن يزوره زيارة حب وتقدير . . ورفض .

كان يكره اللئام . . صريحاً يقول ما يعتقد ويقول مايدور بذهنه وعلى الجملة تفكيره كان دائماً بصوت عال . .

كان محبوباً فى العالم العربى حباً لا أستطيع أن أصفه . . كان فى كل مكان حتى فى أوربا تجد المعجبين به وقد أخرجوا صوره من جيوبهم وقدموها له ليوقع عليها . .

كان متواضعاً شديد التواضع . . لا يتصرف على أنه فريد الأطرش المشهور . . ولكن كان دائماً فريد الأطرش البسيط . . لأن الشهرة لم تولد عنده نرجسية . . ولم تجعل منه إنساناً معقداً كغالبية المشاهير .

كان يأكل بيده حتى وهو فى أكبر مطاعم باريس . . فى مكسيم . . فى الفوكتس . . بجوار الملوك . . والأمراء . . والعظماء . ويقول يدى خير من الشوكة والسكين . .

كان يحب الأكلات الشعبية والبلدية . الكشرى ولحمة الرأس . . ولسان العجل أو الخروف وقرقوشة الودن . . وهذا يرجع لنشأته الأولى فى حى باب البحر . . وفى حى الظاهر والسكاكينى .

كان يغير ملابسه نادراً برغم وفرتها — فيظل يرتدى « الطاقم » الواحد . . بلوفر وبنطلون . . أو بدلة كاملة لمدة شهر . . حتى يجد من يخانقه ويجبره على التغيير . .

كان يتلف جميع ملابسه لأنه وقت الأكل لايعرف ماذا يفعل . . وتجد

جميع قمصانه وبلوفراته مملوءة بالبقع . .

كان يشكو من الوحدة . . ولم يكن يجد صديقاً يجاريه السهر حتى الصباح . . وكان يسهر حتى يصبح الصبح ليطمئن أنه إذا أصابه شيء يجد من يسمع صوته ويغيثه .
كان لا يخاف الموت ويقول ابن تسعة لا يموت ابن سبعة . . لكل أجل كتاب .

كان مؤمنا إلى درجة عجيبة . . يؤمن بالله . . وبرسله جميعاً . . يضع فى صدره القرآن والصليب . . وتمثال العذراء . . ويقول دائماً الدين لله . .

كان إذا أحب أى شخص وقربه له لا يعنيه من هو . . أو ابن من هو . . أو عمله ماهو . .

كان لايقبل من أحد أن ينقد أى صديق له . . وإذا حدث واجه الاثنين . . كان يعتقد فى كل الناس الطهارة والصدق ولا يقبل أن يغير رأيه . . وكم قاسى من بعض الذين قربهم له وهم على غير المستوى الواجب . . لمجرد أنه شخصياً مقتنع بهم .

وربما تكون آرائى فى فريد الأطرش هنا نتيجة لعاطفة ربطتنى به ، وقد تكون فى النهاية مضطربة لأنها تكتب عقب الحدث الذى هزنى وهز العالم العربى ، ولكنى أستطيع أن أقول إننى أكتب حقائق ، والحقيقة دائما أقوى من أى شيء .

إن فريد الأطرش كان فريداً فى كل شيء ، له طابعه المميز ، حتى إننى كنت أعبر عن تصرفاته بـ« الأطرشيات » .

كان إذا وعد لا يخلف وعداً ، وإذا تكلم لا يقول إلا صدقا ، وإذا لحن لا يعبر إلا عن إحساسه ، وإذا غنى لا ينطق إلا بما يجيش بصدره . .

كان إذا وعد بشيء ، أو ارتبط بعمل ، ينفذه كأنه كتاب مقدس لا يقبل التحوير أو التحريف . وأذكر أنه عام ١٩٦٢ كان يصور فيلم « حكاية العمر كله » من إنتاج رمسيس نجيب وصبحى فرحات وأثناء التصوير استحق له قسط لم يدفعه المنتج فرفض فريد أن ينزل إلى الأستديو حتى يدفع له القسط . .

وبرغم المحاولات التى بذلت لحمله على النزول منى ومن غيرى ، فإنه قال إن الارتباط هو ارتباط ، ولابد أن ينفذ غيرى التزامه فى موعده . .

وبعد اتصالات عديدة مع الكثير من المشرفين على الفيلم حضر صبحى فرحات إلى منزله وأعطاه المبلغ ، وهنا قال فريد :

– سأكون فى الأستديو بعد خمس دقائق . . .

إلا أن صبحى فرحات قال له :

ياأستاذ فريد ، فى الحقيقة أن المبلغ اللى أنا جبته استلفته وفيه مبالغ محولة لى من الخارج لم تصل ، وبكره الشغل سيقف لأنه لا يوجد عندى مايكفى ، وسأضطر لانتظار التحويل !

فما كان من فريد إلا أن قال له :

ولماذا يتعطل العمل ؟ يلزمك كام ؟

فقال صبحى فرحات :

– عشرة آلاف جنيه ! . .

ودفعها فريد على الفور ، ونزل إلى الأستوديو ، وصور ، واستمر العمل فى الفيلم ، والنتيجة الوحيدة، واضحة ، وهى أن فريد لم يقبض القسط بل دفع فوقه خمسة آلاف جنيه من جيبه ، ولكن ، وبحسب تقديره فإن المنتج نفذ التزامه ، لأن دفع القسط شيء ، والقرض شيء آخر . وهذا هو فريد !

وكان إذا تكلم لا يقول إلا صدقاً ، وأذكر أنه فى عام ١٩٦٥ تلقى طلباً من نيابة المالية بالقاهرة لسؤاله عن مبالغ صرفت له من تليفزيون الكويت ، ولم يقم بتحويلها إلى مصر طبقاً لأحكام قوانين النقد .

وجلست معه أحصر المبالغ التى بالكويت . وما دفعه فى لبنان من نفقات لعلاج والدته التى كانت مريضة بأحد المستشفيات ، إلى غير ذلك من الأعباء التى يتكبدها

أى شخص فى مثل مكانة فريد فى المجتمع ، وبعملية حسابية اتضح أن المبلغ الذى أنفقه بالإضافة إلى ماقام بتحويله إلى مصر هو سبعة آلاف دولار ، هكذا سيكون موقفه أمام النيابة المالية سلبياً .

وتوجهت معه إلى دار القضاء العالى ، وجلسنا أمام رئيس النيابة الذى بدأ يسأله الأسئلة التقليدية : اسمك ، وسنك ، ومهنتك ، ومحل إقامتك ، فقاطعه الأستاذ فريد وسأله :

قبل كل حاجة عاوز أعرف المبلغ اللى بتسألوا عليه كام ؟ !

ولما كنت قد اطلعت على الرقم ولم أبلغه به ، فقد قلت له :

– ياأستاذ فريد ، دى أسئلة تقليدية ، لازم تجاوب عليها ، والمبلغ حوالى تسعة عشر ألف دينار !! .

فصرخ فريد :

– هذا كذب !

فقال له رئيس النيابة :

– إزاى بتقول إنه كذب ، والكشف قدامى وثابت منه جميع المبالغ اللى استلمها كل الفنانين فى الكويت وأنت منهم ؟ . . .

فقال فريد :

– أيوه كذب !

وفاجأ رئيس النيابة بأن صحة الرقم هو ستة وعشرين ألف دينار ، أى بزيادة سبعة آلاف دينار !

وحاولت أن أضغط على رجله لكى لا يقول هذا الكلام ، لأن حسابنا مضبوط على تسعة عشر ألف دينار ، فقال باللفظ الواحد :

– أنت بتضغط على رجلى ليه ؟ ! أنا مش حاأغير رأيى . المبلغ زى ماقلت ،

وأن ما اتكتبش كده فى المحضر أنا مش حجاوب على أى سؤال. فوقعت فى ورطة كمحام ، وكان رئيس النيابة لطيفاً معه وقال له :

– أنا حا كتب فى المحضر كل اللى بتقوله ، لكن تسمع كلام محاميك !

فقال :

– لا ، أنا مصر على رأيى !

ولكن المفأجاة كانت فى قرار النيابة ، إذ قررت الإفراج عنه بلاضمان ، فى حين أن جميع الفنانين الآخرين أفرجت عنهم النيابة بكفالة تتراوح بين خمسين ومائة جنيه ، وكان هذا انتصاراً له لأنه قرر أن يقول الحقيقة .

وكان إذا لحن لايعبر إلا عن إحساسه ، ولهذا فإن ألحانه تدخل القلب مباشرة ، وحقيقة لا يعرفها الكثيرون ، وهى أن أعذب ألحان فريد كان هو صاحب كلماتها الأولى مثل « حكاية غرامى » و« بنادى عليك » و « سألنى الليل » . فهو كان يخلق كلمات مطلع الأغنية . ويعيش مع الجملة الموسيقية التى تدور فى ذهنه ، بل كان يلحن كلاماً أى كلام يكمل به الشطر الذى يتخيله ، ثم يدفع إلى المؤلفين بأفكاره ، ثم فى أيام يصبح اللحن كاملا ،والأغنية فى طريقها إلى الأستديو للتسجيل . .

وكان إذا غنى لا ينطق إلا بما يجيش به صدره يردد دائماً الأغنية التى تعبر عن الظروف التى يمر بها ، حتى ولوكانت لغيره من المطربين ، وكان فى أيام الحفلات العامة يسأل ماذا أغنى فى الحفلة ، ويسمع رأيى ، ورأى غيرى ، ثم تبدأ البروفات للحفلة فنجده قد اختار أغنيات بعيدة عن طلباتنا وأسأله : طيب ليه؟ ؟ . ماتقول حاجة من الأغانى الجديدة ، أو تقول الأغنية الفلانية !

فيسكت قليلا ويقول :

– أنا حاغنى الأغانى الفلانية . . عارف ليه ؟ لأنى لازم أقولها . . ما أعرفش ليه .

وكان فريد صريحاً إلى أبعد حدود الصراحة . ولكن فيما لا يضر أى إنسان . وأذكر أنه فى عام ١٩٦٥ ، كنت جالساً معه مساء ذات ليلة فى منزله بالجيزة نستعرض الأمور ، وفجأة دق جرس الباب ، وعرفنا أن الزائر هو أحد أصدقائه الأعزاء ، وهو رجل الأعمال محمد بركات وكان دائماً يحب أن يداعب الموسيقار من وقت لآخر . وبعد أن سلم وجلس . استأذن الموسيقار ليخلع جلبابه ، ويلبس بنطلوناً وقميصاً ليستقبل به زوار منزله ليلا من الأصدقاء الخلص ، وجلست أنا والسيد بركات نتحدث فى بعض الأمور . . .

واقترح بركات أن يداعب الموسيقار كعادته . فأخبره بقصة سيقولها له بمجرد عودته من غرفة نومه ، وهذه القصة غير حقيقية ، وسيطلب من الموسيقار ألا يخطر بها أحداً . وراهنى السيد بركات بأن الموسيقار سوف يرويها للجميع بعد ساعة على الأكثر من وقت علمه بها ! . . .

وحضر الموسيقار الراحل ، وبدأ السيد بركات يروى القصة ، وتتلخص فى أنه عائد لتوه من أوربا . . وأن الطائرة التى كان قادماً عليها اضطرت للهبوط فى روما دون أن يكون هذا فى خط سيرها ، وذلك لأسباب فنية ، وأنه جلس فى مطار روما مدة ساعة وفى أثناء تجوله فى صالة الترانزيت بالمطار صادف أحد رجال الأعمال الألمان ، ووقع معه عقداً على صفقة كبيرة من المواد الكيماوية وأنه تليفونياً اتفق مع أحد التجار فى روما على بيعها ، وحققت الصفقة ربحاً قدره ٨٥ ألف جنيه استرلينى ! . .

وجلس رجل الأعمال يشرح للموسيقار كيف أن الإنسان يرزق برغم أنفه وأن القدر يتدخل كثيراً فى حياة الإنسان ، سعد فريد جداً لما أصاب صديقه وعبر عن سعادته بقبلة حارة وضعها على جبين الصديق ، وهنا بدأت مداعبة الصديق بركات لفريد ، فقال للموسيقار إنه بمناسبة هذه الصفقة ، واحتفالا بها يجب أن يدعو الموسيقار وجميع ضيوفه فى تلك الليلة إلى عشاء فاخر ! !

واقترح فريد أن يكون الطبق الأساسى هو الحمام المشوى ، وللعلم فإنه من الأطباق المفضلة إليه ! . .

ووافق رجل الأعمال محمد بركات وتم تنفيذ العزومة كاملة ، وجىء بالحمام المشوى من مطعم معروف ، وبدأت السهرة ، واجتمع جميع الأصدقاء أمام العشاء الفاخر ، وبدأ الموسيقار يحيى ضيوفه ويعطى هذا حمامة ، ويعطى تلك صدراً من حمامه ، ويوزع على كل من يجلس على المائدة أو يقف حولها ، وكنت أرقبه أنا والسيد بركات ، ونشعر أنه بتصرفاته هذه يحاول الابتعاد عن قول شىء أو إذاعة مايدور بذهنه وفجأة نطق الموسيقار فقال :

– ياجماعة أنتم عارفين مين اللى عازمنا الليلة ؟ ؟ . . اللى عازمنا محمد بركات عارفين ليه ؟ لأنه عمل صفقة اليوم ! . .

وبدأ فريد يسرد كل التفاصيل التى استحلفه الصديق بركات ألا يذيعها وأن يحتفظ بها سراً . . خوفاً من الحسد وكلام الناس . .

ولكن هذا هو فريد الأطرش ، لا يستطيع أن يفكر إلا بصوت عال ليعطى البرهان دائماً على شفافيته وصفاء نفسه . .

وكان الفنان الراحل يعيش للفن من أجل الفن ، وبعقلية فنان لاتحسب حساباً لشىء إلا للفن ! . .

وعاش فريد الأطرش حياة فنية طويلة قلقاً على فنه ، قلقاً على نفسه ، ضائعاً فى خضم طويل واسع لا يعرف له حدوداً ولا شواطىء ، يبحث عن شىء أعتقد أنه لم يجده . . . .

ومع ذلك فلقد كان من صفات فريد الأطرش العناد الشديد حتى لو أضر بنفسه ، ويبدو وأنه فى هذا متمثلا بالمثل الدرزى المشهور « عنزة ولو طارت » وأعتقد أن حكاية

هذا المثل معروفة للقارئ اللبنانى ، ولكن قد يجهلها الكثير من القراء فى أنحاء العالم العربى . .

وتحكى الرواية أن أحد الأكراد كان يسير مع أحد الدروز ، ومشهور عن الأكراد والدروز العناد ، وجاء سير الاثنين فى المزارع ، فلفت الكردى نظر الدرزى إلى طير موجود بين الأشجار يبحث عن شيء يأكله . . فرد عليه الدرزى إن الذى يراه بين الأشجار واقفاً على الأرض ليس طيراً بل عنزة . . فقال له الكردى : يا أخى إنه طير ، هذا هو الدليل . وقذف بحجر فى اتجاه الطير فطار ! ! فرد عليه الدرزى : عنزة ولوطارت .

وكان من حكايات عناده حكايتان إحداهما رواها لى والثانية عشتها معه . .

أما تلك التى رواها لى ، فإلى القارئ تفاصيلها :

كان الموسيقار الراحل فى رحلة إلى الإسكندرية مع صديقه السيد عبدالرحمن سرور الصبان ، وكان قد سافر إليها بالسيارة لقضاء يومين على شاطئ عروس البحر الأبيض المتوسط ، وبعد أن أمضيا اليومين على أحسن ما يجب كل منهما . . طلب السيد عبد الرحمن سرور من صديقه الموسيقار أن يعودا إلى القاهرة بالطائرة بدلاً من ركوب السيارة ، فقال له الموسيقار إن المسافة واحدة ،على ماتروح المطار وتركب الطائرة وتصل إلى القاهرة وتأخذ تاكسى من المطار إلى المنزل تكون وصلنا بالسيارة . وهنا قال له صديقه : على أى حال يبقى تغيير يافريد ، ونكون مع بعض ! ! . . فرفض الموسيقار الإقتراح ، وأصر على السفر بالسيارة ، وقال لصديقه : يعنى أنت بتوجدنى أمام الأمر الواقع ، وليه ماخدتش رأيى فى هذا الموضوع ؟ على أى حال أنا مسافر بالسيارة ، وراح أحرمك تسافر بالسيارة ، وراح أحرمك من أن نكون معاً بالطائرة ، وأراهنك أنى سأكون بالقاهرة قبل منك ياللى مسافر بالطائرة ! !

فقال له صديقه : طيب أنا أراهنك على مائة جنيه إذا حصل ووصلت القاهرة

قبل منى وقبل فريد الرهان .

ولما كان فريد يعلم فى قرارة نفسه أن حسابه خطأ ، وأن صديقه سيصل قبله إلى القاهرة فإنه بعناده الشهير أصر على أن يكون بالقاهرة قبل الصديق .

وأعد الموسيقار سيارته وأجلس السائق بجواره ، وجلس هو على مقعد القيادة ، وكان معه السيارة « الباكار » وهى بقوة « ثمانية سلندر » وتوكل على الله وانطلق على سرعة مائة وخمسين كيلومتراً فى الساعة ، وجلس السائق « محمد » يرتعد ويقرأ القرآن والموسيقار ينطلق بالسيارة غير مكترث لنقط التفتيش على الطريق الصحراوى ، ولما كانت المسافة بين القاهرة والإسكندرية حوالى مائتين وخمسين كيلومتراً ، فإنه على هذا المنوال سيصل إلى القاهرة بعد حوالى الساعتين إلا ربعاً ، فإذاوضعنا فى الحساب مداخل القاهرة التى لا يستطيع أن يسرع فيها بالسيارة أكثر من ٦٠ أو ٥٠ كيلومتراً فى الساعة وهى مسافة تصل إلى خمسة عشر كيـلومتراً ، فإن معنى هذا أن الموسيقار سيصل فى ساعتين وكسور . . ولما كانت الطائرة تقطع المسافة من الإسكندرية إلى القاهرة فى نصف ساعة ، ونصف ساعة من مدينة الإسكندريةإلى مطار الإسكندرية فى ثلاثة أرباع الساعة من مطار القاهرة ، إلى منزل الموسيقار بالجيزة فإن حسابات الصديق تجعله يصل إلى منزل الموسيقار فى ساعتين إلا ربعاً . . معنى هذا أنه يوجد حوالى العشرين دقيقة بالزيادة فى رحلة الموسيقار . .

وعمل الموسيقار الراحل كل مايمكن ليصل فى موعده وقبل صديقه . . وفعلا وصل منزله وسأل البواب : هل الأخ عبدالرحمن وصل ؟ ؟ . فقال له البواب : لا ماوصلش ! !وهنا إنفرجت أسارير الموسيقار وارتاحت أعصابه . . وبمجرد أن جلس على كرسيه ، دق جرس الباب وإذا بالداخل الصديق عبدالرحمن سررو الذى وضع يده فى جيبه ، ودفع للموسيقار مائة جنيه قيمة الرهان . .

وهكذا أوصل العناد الموسيقار إلى المخاطرة بحياته الغالية على الملايين لمجرد أن

ينتصر على صديقه . .

أما الحكاية الثانية فهى من أروع الأمثلة على عناده وقد عايشتها معه . .

كان ذلك فى أثناء تصوير فيلم « زمان ياحب » وغير المخرج بعض مواقف فى الفيلم وحواره وأضيف إليه الحوار التالى :

« المنظر : فريد الأطرش يركب حماراً اسمه « ابوللو » ومعه الفنانة زبيدة ثروت بطلة الفيلم » .

وكان الحوار :

شوشو : أستاذ فريد ، تحب تسمع موسيقى .

فريد : بكل سرور .

وهنا يبحث شوشو فى رقبة الحمار عن شىء ، ثم يرفع يده براديو ترانزستور ، يبدأ الحوار التالى :

فريد : أنت كمان معلق له راديو ؟

شوشو : امال ياأستاذ ؟ ؟ أبوللو بيحب الموسيقى ، وخصوصاً أغانيك .

فريد : ماهو أصله حمار . .

وأعجبت القفشه فريد ، وأصر على أن تكون بالفيلم ، وفعلا تم التصوير ، ودعانى الأستاذ عبدالسلام موسى ، المشرف على الفيلم لرؤية الفيلم قبل عملية المكساج ، وحضر العرض عدد كبير من المشرفين على مؤسسة السينما .

وذهلت عندما سمعت الحوار ، واعتقدت أن به مساساً بالموسيقار .

وكان فريد فى لندن ،واتصل بى تليفونياً ، وقلت له رأيى إنه لابد من حذف هذا المشهد فقال لى الموسيقار : لا يامحمود ، أنا عاجبنى ! وسكت . . وحضر الموسيقار إلى القاهرة ، وبدأت أناقشه فى موضوع هذا المشهد ، فقال : يامحمود ، أرجوك اسكت ، أنا عاجبنى !

وسكت فعلا ، وعرض الفيلم فى بيروت ، وكان من عادته أن يطلب من أصدقائه أن يروا أفلامه ويقولوا له رأيهم ، ورأى الجمهور فى الصالة . . وذهبت فى زيارة له فى بيروت ، فطلب منى أن أرى الفيلم وفعلا شاهدت الفيلم ، وقلت له رأيى وزدت عليه رأى الناس فى الحوار الذى كان موضع خلاف بينى وبينه والسابق الإشارة إليه ،واتضح أن غيرى قال له مثل ماقلت ، فطلب منى الأستاذ فريد أن أتصل بالمؤسسة فى القاهرة لرفع هذا المشهد من الفيلم ، وعدت للقاهرة وقال المسئولون سبق السيف العزل لايمكن . . لأن النسخ توزعت . . وقلت لهم إن الأستاذ فريد مستعد يدفع كل التكاليف مهما كانت ولو وصلت عشرة آلاف جنيه ! ! فقالوا متأسفين . .

وظل الموسيقار فترة طويلة من الزمن متأثراً من هذه الواقعة ، وزعل جداً لأن المؤسسة لم تستجب لطلبه . .

وهكذا نرى فريد الأطرش عنيداً ، ولكن فيما لا يضر الغير ، ويصر على رأيه حتى ولو كان خطأ ثم يحاول أن يصلح ماأفسده الدهر حتى ولو كلفه مالا كثيراً . .

وفريد الأطرش كان عطوفاً على كل من حوله يحب صديقه ويتفانى فى حبه ، ولا يهدأ ولا يستقر إلا إذا اطمأن على أصدقائه واحداً واحداً . . وكان إذا سافر إلى بلد آخر خارج الجمهورية يتصل مرة على الأقل كل أسبوع تليفونياً ويسأل عن كل واحد باسمه ، وكان إذا جد الجدوأحس أن صديقه فى حاجة إليه ، سارع إلى الاتصال به ووقف بجانبه لينصره ويناصره إلى أن يمر بمحنته أو ظروفه القاسية على أحسن حال وهنا يهدأ الموسيقار ويستريح باله .

وأذكر أن صديقاً من رجال الصحافة المرموقين تعرض فى أوائل الستينات لقرار وقف عن عمله ، ووقف مرتبه ، وكان هذا القرار من جهة عليا لا تعقيب على قراراتها . . وكانت مراكز القوى تعتبر الاتصال بأى شخص مغضوب عليه خيانة وطنية ، جزاء من قام به أن يحبس . . أو يشرد . . أويحارب فى رزقه ! . .

وظل المحيطون بفريد لا يخبرونه من أمر صديقه شيئاً ، إلى أن جاء اليوم الذى افتقده فيه الموسيقار فاتصل به فى مكتبه ، وعلم أنه بإجازة منذ مدة طويلة ، فاتصل بمنزله فعلم أنه غير موجود بالمنزل أيضاً ، فتوجه بنفسه إلى منزل الصديق سائلا عنه ، وهناك علم بما أخفاه عنه الأصدقاء فظل منتظراً فى سيارة أمام منزل الصديق ، وظل منزل الموسيقار وأصدقاؤه يبحثون عنه فى كل مكان إلى أن أصابهم القلق ، وبعد ساعات من الإنتظار الممل والقلق ، ودخل الموسيقار وهو أشبه بقائد عاد من ميدان القتال بعد أن لقن جيوش أعدائه درساً قاسياً وهزمها شر هزيمة ، ،وبسؤاله أين كنت وأين اختفيت . . هل هو حب جديد . . أو مــاذا ؟ والكل فى لهفة لسماع الخبر فأجاب الموسيقار بهدوء شديد أنتم عارفين أن فلان موقوف عن عمله ؟ فأجابوه : أيوه . . ! !

– طيب ليه ماحدش قاللى ؟ ؟

فرد أحد الأصدقاء :

– ماهو يافريد أنت عارف إن قرار إيقافه عن العمل قرار سياسى ، واحنا عارفينك ما بتعملش حساب للمسئولين . . وأنت فنان كبير ، ومش عايزين حد يزعل منك ! .

فرد فريد :

– كتر خيركم ، على أى حال أنا عرفت الموضوع كله . . وزرت الصديق واللى يجرالى يجرالى .

وكانت مشكلة ترقب الجميع نتائج ضارة لها تلحق بالموسيقار ، وفى أثناء الحديث دخل الصديق الموقوف ، وقبل فريد قبلة حارة ، ثم جلس ،ثم وضع يده فى جيبه وأخرج شيكاً قدمه للموسيقار قائلا إذا احتجت لشىء سألجأ إليك . . فرفض الموسيقار أن يمسه بيده ، وكانت المفاجأة أن كان شيكاً موقعاً على بياض من فريد

الأطرش . . تركه لأهل منزل الصديق لما يئس من حضوره . .

وهذا هو فريد ! !

وكان فريد أيضاً قلقاً دائماً عندما يقدم على أى عمل فنى . . تجده غير مستقر على حال . . لا ينام حتى يرتاح ، ولا يتسلى مع الأصدقاء بلعبة « الكومى » . . وأذكر أنه فى عام ١٩٧١ كان قد انتهى من إعداد أغانى فيلم « زمان ياحب » ، وكان البحث جارياً عن بطلة الفيلم ، ووصلت إلى بيروت لزيارته والإطمئنان عليه ، ووجدت أن شغله الشاغل أن يجد بطلة تقف أمامه فى فيلم « زمان يا حب » . . فقلت له :

– هل رأيت فيلم« . . . . » وبطلته« . . . » وإخراج صديقك ومخرجك المفضل بركات . .

فقال :

– لا ! . .

فاتصلت بصديقه وصديقى الأخ روبير خياط ، وسألته عن الفيلم المطلوب ، وهل عرض فى بيروت أو لا ، فاستمهلنى إلى أن يسأل الموزعين فى لبنان ، وفعلا وجدنا الفيلم فى بيروت فطلبت من روبير خياط أن يطلب النسخة ليراها الأستاذ فريد ، وفعلا قام السيد خياط باستئجار النسخة ، وألغى حفلة الساعة التاسعة بالسينما التى يملكها بالأشرفية ، وأمسك الموسيقار الراحل بالتليفون ودعا مجموعة من الأصدقاء لمشاهدة الفيلم فى عرض خاص ، وكان فى مقدمة المدعوين صاحب الموعد ، الأستاذ بديع سربيه وزوجته السيدة نادية ، والسيدة سلوى القدسى ، حبيبة قلب الموسيقار إذ لم يكن قد أعلن خطبته لها بعد . .

ودارت ماكينات العرض . . وشد الفيلم جميع الحاضرين ، واندمج الموسيقار مع قصة الفيلم وهو ينظر بعين خبير إلى البطلة وتحركاتها فى « الكادر » وروحها فى أداء الدور ، إلى أن ظهرت على الشاشة كلمة « النهاية » . ونظرنا جميعاً إلى الموسيقار

لنسمع قـراره ، ونظر هو إلينـا يتلمس قرارنا . . ونحن صامتون وبدأ هو يسأل وكان أول الذين سألهم الموسيقار الأستاذ محمد بديع فقال رائعة ! . . وقالت السيدة سلوى القدسي : ممتازة تليق للدور معك يافريد ! ! . .

وقال روبير خياط : أنا واحد باشتغل فى السينما من زمان ، وأقدر أقول هايله جداً . . ونظر إلى الموسيقار الراحل فقلت :

— أنا قلت لك إنها ممتازة وتستحق الدور ! . .

وسكت الموسيقار وخشينا جميعاً ألا يكون مقتنعاً بما نقول ، وفجأة قال : على خيرة الله !

ووجه لى الكلام :

والنبى ياأخ محمود تتصل بالأستاذ عبدالسلام موسى ، المنتج المنفذ للفيلم ، ومندوب المؤسسة بفندق «كارلتون» وتبلغه قرارى وعلى الله نتوكل ونشتغل ! . .

وبحثت عن تليفون فإذا بتليفون السينما معطلا . فابلغت الأستاذ فريد فقال :

— طيب لما نوصل البيت نطلبه . .

وما كدنا نصل البيت — بيت الموسيقار — حتى أمسك هو بالتليفون . . وطلب فندق كارلتون :

فريد : الأستاذ عبدالسلام موسى . .

عاملة التليفون : دقيقة من فضلك ندور عليه . .

وبحثت عاملة التليفون عن الأستاذ عبدالسلام موسى فلم تجده ، فقالت متأسفة تحب تسيب رسالة ؟

فقال : أيوه من فضلك ادينى المختص . . .

وحولت عاملة التليفون المكالمة إلى المختص ، وهو الموظف الذى يعطيك مفتاح غرفتك بمدخل الفندق ، ودار حوار رواه لى الموسيقار فيما بعد .

فريد : من فضلك عايز اسيب رسالة للأستاذ عبد السلام موسى . . أنــا فريد الأطرش .

عامل الفندق : مرحباً يا أستاذ . . يا أهلا وسهلاً . . اتفضل قول يا أستاذ . .

فريد : الأخ الأستاذ عبد السلام موسى وقع اختيارى على الفنانة « . . » للقيام بدور البطولة أمامى فى الفيلم أرجو إخطار الأستاذ محمد رجائى مدير الإنتاج بالمؤسسة بالقاهرة ليتعاقد معها . .

عامل التليفون : ده معقول ياأستاذ أنت تقوم بالتمثيل أمام هذه الممثلة . . دى مين دى « . . . » ياأستاذ اللى تمثل قدامك . .

فريد : طيب أرجوك الغ الرسالة .

وكان قرار فريد أن هذه الفنانة لا تصلح للقيام بدور البطولة أمامه ، لأن هذا رأى الجمهور والجمهور هو كل شيء فى حياة فريد الأطرش ، ولذا كان يسميه دائماً : الحبيب . .

وهذه هى صفات فريد التى ستظل خالدة فى حبه لفنه . . وقلقه على فنه . . واحترام رأى جمهوره مهما كان . . ولم تكن نظرة فريد إلى جمهوره هى نظرة الفنان للذين يصفقون له ويعجبون به . لا . فريد كان يرى هذا الجمهور باعتباره الشعب . . وهذه الأمة . . وهذه الأرض.

إن هذا يجعلنى فى حاجة إلى تسليط الضوء على مشاعر فريد نحو وطنه .

لقد كان الموسيقار الراحل صورة مجسمة للوطنية محباً لبلده يعتز بمصريته . يشارك بروحه وإحساسه فى كل مناسبة وطنية ، وكان يتألم كثيراً إذا لم يستدعه أحد للمشاركة بفنه فى عيد وطنى .

وكانت احتفالات ٢٣ يوليو « تموز » من كل عام تمثل بالنسبة له . . حسرة وألماً ، ويظل يجوب أرجاء منزله ، ويحدث نفسه . . لماذا لم يستدعنى أحد للمشاركة

فى العيد ؟ ! هل يجوز لى أن أقتحم الحفل ومعى الفرقة الموسيقية وأقول : أنا عايز أغنى وأشارك . . وهل يليق بالفنان أن يقف على بالباب ويطرقه ويقول : يـا ناس لازم أكون معاكم فى الليلة دى ؟ ؟

ثم يجيب فريد : أبداً ، لايمكن أن يحدث مثل هذا ، أنا قاعد فى بيتى لغاية ما يعرف المسئول عن هذا الحفل ، أننى موجود ، ولا يليق بى أن أذهب إلى مكان الاحتفال دون دعوة . . والرئيس عبد الناصر وضيوفه قاعدين . . وأعمل غلطة بروتوكولية ! . .

وفى عام ١٩٦٧ كانت النكسة وبدأت الدماء تغلى فى جسد الموسيقار المريض ، وبدأ الحزن يسيطر على حياته لما أصاب بلده ورفض أن يعود إلى القاهرة الكسيرة ، وفجأة انتفض الموسيقار الراحل وطلب مؤلف الأغانى عبد الجليل وهبى ، وجلس يشرح مرة أخرى ، وأنه لازم نحارب لازم نحارب لازم نعمل حاجه ، وأن العرب إذا كانوا قد خسروا معركة ، فليس هذا كافياً أن نستسلم للكلاب . . وهذا تعبيره بالحرف الواحد . . .

وفى اليوم التالى حضر إليه الشاعر عبد الجليل وهبى وسلمه نشيداً ، هذا النشيد هو نشيد « شعبنا يوم الفدا » ومقاطع النشيد تقول « لا تقل ضاع الرجاء . . إن للباطل جولة . . وفى نهاية النشيد « أذان » ينادى على العرب « الله أكبر الله أكبر . . لا إله إلا الله » . .

وبدأ الموسيقار الراحل تلحين النشيد وانتهى منه ، وبدأت البروفات مع الفرقة الموسيقية ثم توجه للاستديو لتسجيله ، واتصل بصديقه الأستاذ جلال معوض لأخذ رأيه فى الكلمات . . فهنأه على حسن إختياره . . .

ثم أخذ الموسيقار قراره : لابد أن أرسل هذا النشيد إلى جميع الإذاعات العربية ليذاع فوراً ، وطلب من الأستديو إعداد النسخ اللازمة بعدد الدول العربية ، وتوجه

إلى السفارات العربية فى بيروت ، وسلم كل سفير نسخة ، واستدعانى من القاهرة ، وسلمنى نسختين لإذاعة القاهرة ، وأحضرت الشريط وأذيع . .

وبعد أسبوع تلقيت مكالمة تليفونية من الموسيقار الراحل وأبلغنى أنه ليس كافياً مافعله لابد من تصوير النشيد تليفزيونياً ، وقلت له : فكرة كويسة . . وفى اليوم التالى كان استديو ١١ فى تليفزيون لبنان يبنى الديكورات ، وبدأ التصوير ، وأرسل لى نسخة من الفيلم سلمتها لتيلفزيون مصر . وقام هو بتسليم النسخ إلى السفارات !

وهدأ فريد ، ودفع كافة التكاليف من جيبه الخاص . . وقال : ده أقل شيء أعمله نحو بلدى . . ياريتنى أستطيع أن أحارب . . ياريتنى كنت فى حالة صحية تسمح لى بأنى ألف على جميع المعسكرات للجيوش العربية . . وأغنى لإخوتى الجنود هذا النشيد . .

* * *

وتحضرنى فى هذا المقام رائعة أخرى ، فى أكتوبر ١٩٧٣ . كنت مع الموسيقار فى باريس وتركته الساعة الثالثة ليستريح بعض الوقت على أن أعود له فى السابعة مساء .

وفى الساعة الخامسة استمعت إلى الإذاعة التونسية وكان الخبر الأول عندها هو قيام الحرب فى الشرق الأوسط ، ودخول مصر الحرب ضد إسرائيل ، وأن مصر انتهزت فرصة عيد الغفران عند اليهود وهاجمت الجيوش الإسرائيلية فى سيناء . .

واتصلت تليفونياً بالموسيقار الراحل فى فندق « البرنس ديجال » وقال عامل التليفون إن الموسيقار طلب عدم الإزعاج . . وعدم تحويل أية مكالمات إليه قبل الساعة السابعة فقلت لعامل التليفون . . أنا صديقه ومحاميه ، وعندى رسالة عاجلة من القاهرة تهم أعماله . . ولابد من أخذ رأيه فى الموضوع . . وأرد على القاهرة حيث ينتظرون أخذ رأينا لتوقيع عقد هام . .

وبعد حوار طويل وافق عامل التليفون على أن يحول المكالمة للموسيقار ، فاستيقظ

فزعاً ، وقال : خير يامحمود . . لازم فيه حاجة وحشه . . أرجوك ماتخبيش على . . . .

وقلت له : مصر حاربت إسرائيل ، والرئيس السادات أمر بالحرب . . . ! .

فرد الموسيقار : الحمدلله ، هذا أسعد خبر أسمعه منك ، أنا دلوقت استريحت ، لازم كان يحصل كده . . لازم نموتَ كلنا يامحمود . . ولا يبقى الحال كما هو عليه . . تعال فوراً علشان نتابع الأخبار . .

وجلست معه فى جناحه فى الفندق ، كان معه فى رحلته هذه خطيبته السيدة سلوى القدسى ، وجلس الموسيقار أمام التليفزيون ، وجلست أنا أدير مفتاح الراديو باحثاً عن المحطات العربية أو إذاعة القاهرة ، ولكن بدون جدوى ، وكانت الأخبار التى يذيعها التليفزيون الفرنسى كلها سيئة وضد العرب ، وقال الموسيقار : أنا باعتقد يامحمود إن فيه تحيز . . اطلب لى القاهرة ، واطلب لى بيروت .

وظل على نار يترقب المكالمتين ، وإذا بأخبار القاهرة مطمئنة جداً ، وإذا بجنودنا قد عبروا ، وإذا بالجيش المصرى قد استقر على الضفة الشرقية للقنال ، وإذا بأخبار بيروت مطمئنة أيضاً . فإن الجيش السورى انطلق من الجولان ، وبدت الفرحة على وجه الموسيقار ورأيته وكأن عمره قد نقص عشرين عاماً ، وكأنه قد شفى من جميع أمراضه ، وقال : مش قلت لك فيه تحيز . . الحمد لله أنى عشت حتى رأيت هذا اليوم . . سأرسل برقية للرئيس السادات أهنئه ، وبرقية للرئيس الأسد ، أهنئه . . هات ورقة وقلم .

وكتب البرقيتين وأرسلهما . .

وفى هذه الليلة لم يخرج من الفندق ، وظللنا جالسين نتابع الأخبار ، ونشترى جميع طبعات الجرائد . .

وجلس يفكر فى الانتصار ، وقال لازم ترجع مصر على طول علشان أكون جنب إخوتى الجنود فى هذه الأيام التاريخية . .

– ولكن المطار مغلق يا أستاذ فريد ولا يمكن تسمح لنا القوات المسلحة المصرية باستعمال المطارات المدنية فى هذه الظروف . .

وقال : ده صحيح . .

قلت : إذن ، لازم نسافر إلى لندن لأن ميعادك مع الدكتور جبسون يوم ١٠/١٠/١٩٧٣ وثق أن علاجك والاطمئنان على صحتك عمل وطنى تخدم به بلدك . .

وسكت الموسيقار ، ثم تكلم وسألنى :

• طيب ، وأنت حتعمل ايه يامحمود ؟ . . مش ممكن أسيبك لوحدك فى بلد زى ده . . لازم تسافر معايا على لندن لغاية المطار مايفتح وترجع مصر معايا . . .

فقلت له :

– طيب سيبك من الموضوع ده . . وماتحملش همى . .

فقال :

– إزاى ماحملش همك ؟ ؟ بكره الصبح أنا رايح معاك على القنصلية البريطانية فى باريس وأطلب لك تأشيرة . .

وذهبنا فى الصباح وأصر القنصل البريطانى على ضرورة استئذان القنصلية البريطانية فى القاهرة والحصول على موافقتها على منحى التأشيرة . . وتضايق الموسيقار وظل يفكر ماذا يفعل حتى يطمئن على قبل سفره إلى لندن . .

وبعد ثلاثة أيام داوم على الاتصال فيها بالقاهرة وبيروت ، وعرف أن كفة الحرب قد مالت نحو العرب ، وأن العرب لقنوا الجيش الإسرائيلى درساً لن ينساه ، وأن خط بارليف قد إنهار . . علمنا أن مطار بيروت مفتوح للطيران المدنى ، وذهب معى إلى شركة الطيران ، واستبدل لى تذكرتى إلى بيروت . . حتى أذهب إلى بيروت وأبقى هناك إلى أن يفتح مطار القاهرة . .

واتصل الموسيقار بأخيه منير فى بيروت ، وطلب منه أن يحجز لى بفندق « بريستول » وأن يرعانى طوال غيابه عنى . .

ثم قال يامدام سلوى أرجوك تعودى مع محمود إلى بيروت علشان تكونى فى رعاية محمود وأنا غايب ، وكمان أنت عارفه ظروف المستشفيات وبقائى فيها ، وأنا لاأطمئن فى لندن لوحدك ولا أحب أن تكونى فى أى فندق . . وأنا داخل المستشفى . . لأنى لا أطمئن عليك إلا إذا كنت أنا بجوارك . .

وعدت مع السيدة سلوى القدسى إلى بيروت وبقيت هناك ، وإذا برقية تصل بعد أيام للأخ روبير خياط ، وهو من أخلص أصدقاء الموسيقار الراحل ، بأن الموسيقار عائد إلى بيروت بعد أن انتهت إقامته فى المستشفى واطمأن الدكتور جبسون عليه .

ذهبنا إلى المطار ، كل أحباب فريد وأصدقائه ، لنستقبله . . ونزل علينا من الطائرة سعيداً بعودته سعيداً بنصر العرب ، ولمحنى بين المستقبلين وضحك ضحكة عريضة وقال :

– الحمد لله ، أنت لسه هنا ، دى فرصة عمرى أنى لقيتك موجود فى بيروت ! .

قلت :

– ليه خير . .

فقال :

– خير . . أنا عايزك تقعد معايا كام يوم . . إن سعادتى لا حدود لها أن أجد صديقاً يكون بجوارى . وأنت خير صديق . .

كان هذا هو فريد فعلا

فلقد كان فريد الأطرش إنساناً عطوفاً ، يحب الخير ويسعى إليه ، وإذا سمع عن صديق مريض سارع لزيارته ، وإذا سمع عن شخص فى حاجة إلى مساعدة بادر بمد يد العون له خفية . .

وأذكر فى عام ١٩٦٦ كانت حالة فريد الصحية سيئة جداً ، وتورمت قدماه ، وأصبح لا يقوى على الحركة . . حتى خشينا عليه أن تكون النهاية . .

ولسوء حظه كان فى هذه الحالة السيئة ، والعمل جار فى فيلم « الخروج من الجنة » أمام الفنانة هند رستم ، وكان بين الشوت والشوت يخلع حذاءه ويتمدد على كرسى ، ويرفع رجليه إلى أعلى حتى يخفف الالآم وطلبت منه أن يتوقف عن العمل فقال : كيف أقف يامحمود ؟ ! أنت شايف العاملين فى الفيلم قد إيه ؟ ؟ والمؤسسة ذنبها ايه يتعطل العمل فى الفيلم ؟

والفنانون ذنبهم ايه . ماهو كل واحد عايز يخلص علشان عنده شغل تانى . . ولم نجد بداً نحن أصدقاء فريد نرقب الحالة ونستشير الدكتور عوض إبراهيم ، إلا أن الحالة زادت سوءاً وتضخم القلب ، وتضخم الكبد ، واتصل الدكتور عوض إبراهيم بالموسيقار محمد عبدالوهاب الذى اتصل على الفور بى وعرف الحالة ، ثم بادر إلى الاتصال بالدكتور محمد عبدالقادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والإعلام فى ذلك الوقت ، والمسئول عن مؤسسة السينما حيث تتبع وزارته .

وكان الدكتور عبدالقادر حاتم رقيقاً إذ بمجرد سماعه الخبر ، ذهب إلى ستديو نحاس بنفسه حيث يجرى العمل فى الفيلم ، ودخل الدكتور حاتم ليفاجأ بالموسيقار الكبير الراحل جالساً على كرسى وقد خلع حذاءه ، وسأله عن صحته ، فقال له الموسيقار الحمد لله . .

ونظر الدكتور حاتم إلى المخرج ، وإلى المسئولين بالمؤسسة ، وأصدر قراره على الفور : « بوقف العمل بالفيلم ، وتتخذ إجراءات سفر الموسيقار فريد الأطرش إلى لندن للعلاج فوراً وعلى نفقة الدولة » .

وقال له الموسيقار : ألف شكر يادكتور . . وأنا أشكرك وأشكر الدولة . . الحمد لله عندى مايكفينى ، بس كل اللى بطلبه هو أن تحول المبالغ اللازمة للعلاج

من مصر ، وأنا أدفع هنا القيمة بالجنيه المصرى ' . .

فوافق الدكتور حاتم على الفور .

وبعد أيام تحسنت صحة الموسيقار وكنت فى باريس وخاطبته تليفونياً ، وطلب منى الحضور إلى لندن ، وفعلا ذهبت لزيارته هناك ، واطمأن قلبى على صحته ، واستأذنته فى السفر للقاهرة لمناسبة عيد الأضحى الذى كان باقياً عليه عدة أيام ، فشد على يدى وقال : مع السلامة بس فيه حاجة مهمة !

قلت له : خير . .

قال : لاتنس أن تقوم بالواجب نحو إخوتى المؤلفين والملحنين الفقراء !

قلت : أى واجب ؟

قال : اخص عليك يامحمود ، نسيت . . العيدية . . كل سنة وأنت طيب . . الأيام القادمة عيد . . والمحتاج ينتظر ليكسى أولاده ويفرحهم . . أرجوك ادفع كالعادة وزود المبلغ شوية . . وقولهم . . ادعوا لفريد بالشفاء . . وإن شاء الله العيد القادم نعيد كلنا مع بعض فى القاهرة . .

وكان الموسيقار الراحل شجاعاً ، لدرجة التهور . كان دائماً يقول الرب واحد . . والعمر واحد وأذكر أنه فى عام ١٩٧٣ أصيب الموسيقار فريد الأطرش بداء « النقرس وكان يأخذ أدوية كثيرة . . وفى أثناء وجوده فى القاهرة قاسى منه كثيراً ، وكان مرتبطاً بعمل فى بيروت ، وقرر السفر وفى الموعد المحدد وحسب العادة المتبعة ، وعلى طائرة الشرق الأوسط التى تغادر القاهرة الساعة الرابعة إلا عشر دقائق بدأنا نستعد لسفر الموسيقار ، وذهبت إليه الساعةالواحدة بعد الظهر وجلسنا نناقش بعض الأمور الخاصة به ، ثم بدأ يعد حقائبه ، وكانت معه خطيبته السيدة سلوى القدسى وبدأنا طريقنا إلى الأسانسير . .

وقلت له : طيب أنا نازل أجيب سيارتى على الباب علشان ماتمشيش وتركب

على طول ، لأن النقرس مضايقك ! .

فقال : طيب ، يالله وأنا وراك على طول . !

ووقفت على باب عمارته عشر دقائق فى انتظاره ونظرت نحو الأسانسير فوجدته فى الدور العاشر ، وفى طريقه إلى الدور الأرضى وفجأة فتح باب الأسانسير ، ولقيت أحد العاملين فى منزل فريد يبكى ويقول : الحق . . الحق . . اطلع فوق . . الأستاذ وقع على الأرض . . عاوزين دكتور اعمل معروف . !

فأخذت المصعد إلى الدور العاشر ، لأجد الموسيقار الراحل جالساً على كرسى بجوار سريره ولونه شديد الصفار ، وفى حالة شبه انعدام وزن ، وكانت لهفتى على الموسيقار وعلى حياته سبباً فى أننى لم ألحظ شيئاً هاماً . . إذ كانت السيدة سلوى القدسى ممدة على الأرض ومغمى عليها ، وكلمنى الموسيقار بصعوبة قائلا : ماتخافش يامحمود ، الحمد لله فاتت على خير . . بس شوف سلوى . .

ونظرت إلى الجسد الممدد وتطلعت فى الموسيقار ، وارتبكت ، وبدأت أبحث عن الدكتور ، وناديت على أحد العاملين بمنزله ليعاوننى فى رفع السيدة سلوى عن الأرض ، وبعد محاولات بدائية أفاقت السيدة سلوى ، وارتاح الموسيقار وقال : يامحمود ، أنا جات لى دوخة . .ووقعت على الأرض . !

وقال : أنت عارف النور لما يكون بينسحب من اللمبة الكهربائية . . وتخفت شيئاً فشيئاً إلى أن يعود الظلام وينقطع التيار . . هذا ماشعرت به . . ووجدت نفسى والدنيا تدور بى . . والظلام يخيم على الحجرة ببطء شديد ، إلى أن أظلمت الدنيا كلها . . ولم أدر بنفسى إلا وأنا على الأرض ، ولم يستغرق ذلك نصف الثانية ، وغبت فترة أعتقد أنها لا تزيد على ثانية ، وفتحت عينى فإذا بى أجد سلوى ملقاة على الأرض . . فبدأت أتحسس جسدها وأنا فى شبه غيبوبة . .وحضرت أنت . .

قلت : الحمد لله . . وحمدالله على السلامة . . واحنا طلبنا الدكتور

وزمانه جاى . .

وكانت المفاجأة عندما قال : دكتور ايه ؟ فاضل قد ايه على ميعاد الطائرة ؟

قلت له : مافيش سفر النهارده . وعلى أى حال لا بكلامك ولا بكلامى . . ننتظر الدكتور وقراره !

فقال : أنا مسافر . . هاتوا الشنط أحسن الطيارة تفوتنى !

وبكى كل من فى المنزل ، وبكت السيدة سلوى وقالت : دخيلك ياأستاذ محمود ماتخليه يسافر . .

فرد الموسيقار : أنا مافييش حاجة . . ماأنت شباب يامدام سلوى ايه اللى وقعك على الأرض . . ياالله يامحمود نتوكل على الله . . ونزلنا .

وفى مطار القاهرة كانت المفاجأة ، إذ وجدنا الميكرفون ينادى الموسيقار الكبير ، وتوجهت إلى الموظفة المختصة وسألتها : خير ؟ مين عايز الأستاذ فريد ؟ فقالت مطلوب لإدارة المطار . .

وحضر أكثر من مسئول فى المطار ، وقالوا : اتصل بنا الموسيقار محمد عبد الوهاب ومعه الدكتور عوض إبراهيم الطبيب المعالج ، وطلبوا منع سفر الأستاذ فريد لأسباب صحية ، ومحافظة على حياته . .

ورد الموسيقار العنيد : اشكروا الأستاذ عبد الوهاب . . واشكروا الدكتور عوض . . العمر واحد والرب واحد . . وابن تسعة لايموت ابن سبعة . . أنا مسافر على هذه الطائرة .

وودعنا ، وقبلنا ، وركب الطائرة ، وفى المساء اتصل بى من بيروت وقال الحمد لله . يامحمود العمر واحد والرب واحد . .

وفريد كان فى الواقع يتمتع بحاسة سادسة . . كما يقولون ، وكان يحس بأى شىء قبل وقوعه وكانت له نظرة فاحصة فى من حوله يفتش عن شىء يخفونه عنه . . وكانت

هذه عادته لكثرة ماأخفى عنه من أخبار وأمور حريصاً على صحته . . وحتى لا ينفعل فيؤثر ذلك على حالته الصحية . .

وأذكر أنه فى عام ١٩٦٧ كنت فى زيادة لبيروت ، وكان يقيم آنذاك بفندق « بريستول » بالجناح ٥١٦ ، وأنا بالغرفة التى بجواره ٥١٧ .

وكان المتبع أن أدخل عليه الساعة الثانية عشرة ظهراً ، فإذا كان نائماً أيقظته . . وإذا كان مستيقظاً نجلس نستعرض بعض الأمور الخاصة . . والعامة . .

وذات يوم أيقظنى شقيقه فؤاد من النوم ، وكانت الساعة السادسة صباحاً وقال لى : أرجوك تنزل بسرعة . . . .

قلت له : خير . .

قال : بس تعال ونتفاهم مع بعض .

ونزلت على عجل لأجد فؤاد الأطرش مرتبكاً وقال : والدتى ماتت ، ومش عارف أتصرف إزاى . . قلت : ندفنها والبقية فى حياتك . .

قال : وفريد نعمل فيه أيه ؟

قلت : نسيبه نايم لما يصحى فى ميعاده . . وبعدين ربنا يدبرها . .

وذهبت مع الأخ فؤاد إلى بلدة « شويت » فى جبل لبنان ، حيث تم دفن المرحومة « علية المنذر » وكانت مراسم الدفن جديدة على ، إذ وجدت شيوخ الدروز قادمين من كل مكان من الجبل ، وكانت عمائمهم البيضاء ملفتة للنظر ، وحملوا « النعش » على أكتافهم وهم يكبرون بذكر الله ورسوله إلى أن وصلنا إلى المدافن ، وهناك وضعوا التابوت الذى بداخله جثمان الراحلة وبدءوا يصلون عليها صلاة الجنازة . . ويكبرون الله أكبر . . لاإله إلا الله . . محمد رسول الله . . ووضع التابوت داخل المقبرة . . وانصرفنا إلى منزل أحد أقربائها .

وجلسنا فى غرفة الاستقبال صامتين إلى أن قطع شيخ العقل الصمت وقال :

« العوض بسلامتكم» . . وهى عبارة مماثلة لما نقوله فى مصر « البقية فى حياتكم » ثم قال : الموت حق . . والحياة ممر وليست مقراً . . وكل من عليها فان . .

وعدت إلى فندق « بريستول » متأخراً عن الموعد المعتاد مع الموسيقار حوالى ساعتين . وعلمت من موظف الإستقبال أن الموسيقار الراحل سأل عنى كثيراً . . فتوجهت إلى غرفته فوجدته جالساً يقرأ بعض الصحف والمجلات ، سألنى : كنت فين يامحمود . . أنا قلقت عليك . .

فقلت : والله كنت فى مشوار . . .

فنظر إلى محاولاً أن يستشف شيئاً . . وكان يبدو على بعض الضيق ، فسألنى : إيه مالك يا محمود ؟

قلت : أبدا صحيت بدرى شوية . .

وقررت أن أتحمل عبء مواجهة الموسيقار وأخطاره بفقد أمه . . أعز إنسانة فى الوجود بالنسبة لأى شخص .

وعاد يسألنى : مشوار أيه ؟ هـو أنت بتروح مشاوير من ورايا . .

قلت : والله هو مش مشوار يخصنى . . إنما الصبح بدرى النهارده ذهبت إلى بلدة شويت » . .

فقال الموسيقار : «شويت » دى بلدماما . . لازم حصلها حاجة . .

فأحسست أن الموسيقار قد تهيأ لسماع النبأ فرددت على الفور العبارة التى سمعتها من المعزين : العوض بسلامتك . . .

وانفجر الموسيقار باكيا ، وصرخ إزاى ماحدش يقول لى . . إزاى أنت بالذات يامحمود ما تصحنيش . . مع السلامة ياماما . . مع السلامة يامن قاسيت الأمرين حتى كبرت وإخوتى . . إنا لله وإنا إليه راجعون .

وبكى ، وتركته يبكى . . إلى أن استراح . .

وقام ولبس ملابسه ، وطلب سيارة أحد أصدقائه وعدنا إلى قبر والدته . . ووضع على القبر باقة من الزهور . . وقرأ لها الفاتحة . . وظل يحاورها فى صمت حيث كنت أسمع همساً يخرج من فمه . . وتركته واقفاً حوالى نصف ساعة . . إلى أن أحس أهل البلدة بوجود الموسيقار بينهم . . وبدءوا يتجمعون ، فأخرجوه من أمام قبر أمه . . وخرجنا إلى الساحة التى أمام القبر ، وتقبل الموسيقار العزاء فى والدته وانصرفنا . . وظل مكتئباً مدة طويلة . . برغم قولى له : الحياة ممر وليست مقراً . . وبقى فى غرفته بالفندق ثلاثة أيام لا يغادرها .

وأذكر أنه فى عام ١٩٧١ قام الموسيقار بإحياء عدة حفلات فى القاهرة وكانت الإسكندرية هى الختام . .

وفضل الموسيقار أن نسافر بالقطار وكنا ثلاثة : الموسيقار وخطيبته السيدة سلوى القدسى وأنا . .

وفى القطار من القاهرة إلى الإسكندرية . . قابل صديقاً عزيزاً عليه هو رجل الأعمال محمد بركات ، ووقف الرجلان يتكلمان ، وكان أول سؤال سأله الموسيقار لصديقه : إزاى كوثر ؟

وقال السيد بركات كويسة ، ولا زالت فى صحة يحسدها عليها الصغار .

و « كوثر » هذه فرس كان يملكها الموسيقار وباعها إلى صديقه بركات . . وكان يعتز بها هى وحصان آخر اسمه « فارس العرب » .

وسعد الموسيقار جداً بأنباء كوثر وقال لصديقه إن شاء الله أنا راجع من الإسكندرية بكره بالليل بعد ما اخلص من الحفلة . . وعلى فكرة أنت راجع أمتى ؟

فقال الصديق بركات : إن شاء الله بكره برضه . .

فرد الموسيقار : إذن نتقابل يوم الاثنين بمنزلى الساعة الثانية بعد الظهر ، ونتغذى سوى ونروح نشوف كوثر . . وفارس العرب .

فقال الصديق : إن شاء الله . .

وسلم فريد على صديقه وجلس ، وهمس الصديق فى أذنى : أنا عاوزك . .

وذهبت معه نتكلم ، فقال لى : ياأستاذ محمود ، أنا وقعت فى مطب دلوقت . .

قلت له : خير ؟

قال : فريد أنت عارفه . . المواعيد . . مواعيد . . ولازم أكون عنده يوم الاثنين حسب الاتفاق . . لكن كوثر ماتت بمرض النجمة منذ أسبوع . . — وهو مرض يصيب الخيل دائماً — . . وأنا عارف أن فريداً رايح يغنى . . وأنا عارف حبه للخيل . . وأنا عارف اعتزازه بكوثر لأنها فرسة كويسة وهوكان معجب بها ومتعلق فيها . . أعمل أيه دلوقت ؟

فقلت له : خيراً مافعلت . .

وعدت وجلست أمام الموسيقار نتكلم فى الجو ، والحفلة ، واستاد الإسكندرية الذى تقام فيه الحفلة . . وجمهور إسكندرية ، وإيه اللى يغنيه فى هذه الحفلة ؟ ولكن الموسيقار كان يحس شيئاً . . وكان يريد أن يسألنى عن حديثى مع الأستاذ محمد بركات . . إلا أنه كان حساساً لا يحب أن يسأل عن أى شىء . . ولايدخل نفسه فى موضوع لا يهمه . .

ووصلنا إلى الإسكندرية وغنى ليلتها الموسيقار أغنية الربيع . . وكانت من أحلى المرات التى غناها . . وكان فى قمةالأداء . . وقمة السعادة . . وظل علىالمسرح ساعة ونصفاً . . يشدو بأغنيته ويتصرف ، وكان الطقس رائعاً . . وكان الجمهور رائعاً . .

خرج الموسيقارمن المسرح سعيداً . . ووعد جمهوره بأن يعود بعد استراحة قصيرة .

وفى الغرفة التى كانت معدة لإستراحته ، كان الصحفى الكبير موسى صبرى يجلس معه ، ولاحظ أن الموسيقار قد أرهقه الغناء فمنعه من أن يغنى وصلة ثانية ، وعدنا إلى منزل

الموسيقار بالإسكندرية ، وجلسنا نتكلم ونبدى ملاحظاتنا على الحفلة . . وعلى الجمهور . . وعلى أداء الموسيقار . . وكان الموسيقار متضايقاً لأنه كذب على الجمهور ولم يعد له . . كما وعد . .

وبعد فترة بدأ الحديث فى مواضيع أخرى وجاء ذكر الصديق محمد بركات . .

فقال الموسيقار الراحل : ماتنساش يا محمود يوم الاثنين حنروح عند بركات نشوف كوثر » . .

ورأيت أن من واجبى أن أخرج الصديق بركات من ورطته فقلت : والله المشوار ده مالوش لازمة يا أستاذ ، خصوصاً وأن عندنا مواضيع أخرى ولازم نروح نسمع تسجيل الحفلة أحسن . .

وهنا نظر إلى الموسيقار . . ووجه إلى سؤالا : إيه اللى كان الأخ بركات بيقولك عليه فى القطار ؟

وكان السؤال غريباً منه ، إذا لم يتعود فريد أن يسأل عن شىء لا يخصه . . فقلت فى نفسى إن حاسته السادسة بدأت تعمل ، وكانت فرصتى أن أخبره بأن كوثر ماتت . .

ورأيت دمعة حائرة فى عين الموسيقار الكبير ، وقال : أنا إحساسى ماخابش ، معاك أنا حسيت أن فيه حاجة . . ياخسارة كوثر . . حقاً . . الموت نقاد . .

وهذا هو فريد . . صاحب القلب الكبير المريض ، أحب كل الناس . . وأحب حتى الحيوانات ، وليس غريباً عليه ذلك . . فلقد كان كله إحساس .

وربما من أجل هذه الحساسية كانت عصبية فريد تبدأ بمجرد أن يبدأ عمل .

لقد كان الموسيقار الراحل قلقاً دائماً على فنه ، فإذا أقدم على إنتاج فيلم تجده عصبياً حاد المزاج . . وكانت العقبة التقليدية التى تصادفه دائماً هى القصة الجيدة . . وكانت له شروط دائماً فى القصة : -

أولاً : أن يكون دوره فى الفيلم مطرباً أو موسيقاراً . .

• ثانياً : أن تكون القصة عاطفية ، ولم يكن ليبخل فى الإنفاق على القصة لأنه كان يعتبرها الأساس لأى فيلم ناجح .

وأذكر أنه بعد أن انتهى من فيلم « حكاية العمر كله » شرع فى البحث عن قصة جديدة ، واتصل بصديقه الكاتب الكبير الأستاذ إحسان عبدالقدوس الذى تواعد معه على الزيارة دون أن يفاتحه الموسيقار فى أى عمل ، وفى الموعد المحدد حضر الأستاذ إحسان لزيارته ، وكانت ليلة من ليالى الصيف . . وجلسنافى شرفة منزل الموسيقار الراحل . . وبدأ الحديث شخصياً عن الحال والأحوال ، وكان الموسيقار متردداً فى مفاتحة الأستاذ إحسان فى الموضوع خوفاً من أن يرفض الكاتب الكبير ، وشدة حساسية من الموسيقار حتى لا يشعر الصديق الكاتب أن الزيارة . . زيارة عمل . .

وبدأ الموسيقار يتكلم عن الأفلام والإنتاج والأغانى . . وظروف مؤسسة السينما ، وعدم وجود إمكانيات الإنفاق على الأفلام كما كان يحدث فى الماضى ، وقال له الأستاذ إحسان :

ولماذا لا تعود للإنتاج يا فريد ؟ فرد الموسيقار : أنت عارف أسواق الفيلم المصرى أصبحت محدودة . . ومن الصعب أن أتحمل مخاطر التسويق والإنتاج فى هذه الظروف ولكن . . إذا أنت عملت لى قصة كويسة ممكن أقول . . فريد الأطرش يعود مرة أخرى للإنتاج بقصة لإحسان عبدالقدوس . .

ورد عليه الأستاذ إحسان : شوف يأخى فريد ، أنت فاهم أنا أقعد أكتب قصص تفصيل . مش ممكن كتبى موجودة فى السوق ، وممكن تختار منها اللى أنت عاوزه . .

ورد فريد : ياأستاذ إحسان ، أنا شخصياً ماأقدرش اطلع على الناس فى فيلم ودورى فيه مهندس ، أو دكتور أو محامى . . الناس راح تضحك على . . وأنا مش حا أكون صادق . . لأن دورى فى الحياة ليس مهندساً ، أو دكتوراً ، أومحامياً أنا فنان . . ولازم أكون فناناً فى الفيلم علشان يكون فيه صدق . .

فقام الأستاذ إحسان : كلامك صحيح يا فريد . . لكن ليس فى استطاعتى أن أكتب حاجة متفصله عليك . .

وبعد إنتهاء زيارة الأستاذ إحسان ، جلس الموسيقار مهموماً وقال : شفت إزاى يامحمود . . دائماً العقبة اللى بتصادفنى هى القصة . . وأنا مش ممكن أقدم على عمل أنا غير مقتنع به . . تصور أنا اطلع فى فيلم واقف زيك واقول : ياحضرات المستشارين . . مش معقول . يبقى وقار فى المحكمة ، وبعد خمس دقائق أقابل البطلة وأروح أغنى حد يصدقنى بذمتك . .

وقلت له : عندك حق ياأستاذ فريد . . وعلى أى حال نبحث عن قصة . .

وظل البحث جارياً إلى أن وجد قصة الكاتب الكبير توفيق الحكيم . . « الخروج من الجنة » والقصة معروفة ، وإذا كان الموسيقار قد وفق فى قصة ، فإن هذا كان لا يرضيه . . كان دائما يقول لازم يكون عندى على الأقل قصة أو اثنين جاهزين لأن الأغانى مش سهل الواحد يحطها فى الفيلم ، لازم يكون الموقف مناسب للأغنية ، وكلام الأغنية مناسب للموقف . . ودى مسألة تاخد وقت . .

وبدأ الموسيقار تصوير فيلم « الخروج من الجنة » وبدأت متاعب البحث عن قصة جديدة حتى تكون احتياطى لديه .

وبعد طول البحث لم يجد القصة التى ترضى مزاجه وتحقق أهدافه ، وعرض فى المنزل عشرات الأفلام الأجنبية التى تدور بطولتها حول حياة فنان ، وجد أن قصة فيلم « دادى لونغ لجز » مناسبة له ، واتصل على الفور بالأستاذ يوسف جوهر لاقتباس القصة ، وبعد الانتهاء من القصة ، اتفق مع السيناريست محمد أبويوسف على أن يكتب السيناريو والحوار ، وبعد عمل مرهق لمدة ثلاثة شهور دفع فيها الموسيقار كافة الأتعاب اللازمة لكاتب القصة والسيناريست قال : العمل اللى قاموا به الجماعة كويس وممتاز . . لكن هذا ليس الذى كان فى خيالى . . اللى كان على الشاشة

فى الفيلم الأمريكى حاجات إنسانية . . وحاجات تخلى المتفرج مشدود بالفيلم . . لكن للأسف يبدو أن الاقتباس عملية صعبة . .

وبدأت البحث عن قصة جديدة . . وقال له المخرج هنرى بركات : فيه قصة كويسة اسمها إيريانا فتاة شابة روسية ! ! وأنت مسافر باريس ابحث عن هذه القصة وهى تصلح لك مائة فى المائة . .

ويسافر الموسيقار إلى فرنسا ، وتصادف أن كنت فى عمل لجمعية المؤلفين فى باريس ، والتقينا ، ولاحظت فى صمت تام أن الموسيقار الراحل قد كتب اسم القصة لأكثر من شخص . . حتى موظف الإستقبال بفندق « جورج سانك » ورصد له مكافأة قدرها ثلاثمائة فرنك فرنسى جديد إذا أحضر له القصة . . وكان فى خروجه ودخوله من وإلى الفندق يسأل . . وقلت له : طيب أدينى اسم القصة .

وأخذت الأسم . . وذهبت إلى رصيف « سان ميشيل » بالحى اللاتينى فى باريس وبدأت البحث من العاشرة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر دون جدوى ، وظهرت أمامى خيبة الأمل التى سيسمنى بها الموسيقار عندما أخبره بأننى لم أجد القصة . . ومشيت فى شوارع الحى اللاتينى . . وبجوار جامعة فرنسا العتيدة « السوربون » وجدت محلاً صغيراً لبيع الكتب المستعملة ودفعت إلى صاحب المكتبة باسم القصة ، وكان رجلاً مسناً سألنى : ماالذى ذكرك بإسم القصة الآن ؟ فقلت له : الحقيقة أن لى صديقاً فناناً يبحث عنها ! !

فقال الرجل : هل هناك نصف ساعة تجلس معى هنا . . وسأبحث لك عنها . .

وبدأ الرجل يبحث فى رفوف المكتبة ، وبعد ساعة قال : عندك حظ . . وعند صديقك حظ . . وجدت لك نسخة . . هل تعرف آخـــر مرة طبعت فيها هذه القصة ؟

قلت : لا . .

قال : عام ١٩٢٥ . . .

ودفع لى بالكتاب ، ووضعت أمامه المبلغ الذى طلبه ، وانصرفت وأنا أطير من الفرح ، لقد حققت للصديق الموسيقار شيئاً ، ودخلت عليه فى الفندق فوجدته ثائراً . . كيف تأخرت عن موعدى معه . . وقلت : والله الموضوع كان مهم شوية . !

وأخرجت من وراء ظهرى القصة ، ودفعت بها إليه . . وما إن قرأ عنوانها حتى تهلل وجهه ، وزال غضبه ، وكان نصيبى قبلة على جبينى . . وخمسمائة فرنك فرنسى جديد مكافأة على هذا العمل العظيم . .

وقال الموسيقار : الحمد لله ، الأستاذ هنرى بركات قال إنها حاجة كويسة . .

وجلس يقرأ القصة ونسى الغداء ونسى المواعيد ، وحملها وطار إلى بيروت . . وكان فيلم « الحب الكبير » .

وهذا هو الفنان الموسيقار فريد الأطرش ، يظل قلقاً ولا يهدأ إلى أن يجد ما يرضيه .

رحمه الله . .

محمود لطفى



❁ فهرس ❁

الصفحة

- الفن والحياة وفريد الأطرش

بقلم : محمد عبد الوهاب ١١

- فريد الأطرش فنان أحب كل شيء

بقلم : محمود الشريف ٢٩

- من قتل فريد الأطرش ؟ !

بقلم : جورج إبراهيم الخورى ٤٣

- دفاع عن الضياع الحضارى

بقلم : بليغ حمدى ٦١

- حبيب العمر والسنوات الأخيرة من عمره

بقلم : محمد بديع سربية ٧٥

- فريد فنان لا يتكرر

بقلم : محمد الموجى ٩٥

- عزيزى فريد الأطرش

بقلم : أحمد فؤاد حسن ١٠٩

- إنها علاقة عمر

بقلم : محمود لطفى ١٢٣

رقم الإيداع	١٩٨٢/٥٠٧٥
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٢٣٩-٨

١/٨٢/٢٢٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)